



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: /...../.....

رقم التسجيل: 064102520

رقم التسجيل: 1717351001252

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

بعنوان

# ذاكرة المكان و ثقافة الذات في رواية "الشجرة المباركة" لـ"عبد الحميد مغيث"

إشراف الأستاذة الدكتورة

- سعدية بن ستيتي

إعداد الطالبين:

- عيسى بن جوال

- سميرة بن قبي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
01	نور الدين سيليني	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
02	سعدية بن ستيتي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
03	أسماء غجاتي	أستاذ محاضر "أ"	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021-2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلمة شكر

### نتقدم

بأسمى المعاني وخالص الشكر والعرفان في إنجاز هذا البحث

إلى الأستاذة المشرفة: "سعدية بن ستيتي" التي عملت جاهدة على احتضان البحث والإشراف عليه،  
وننحني اعترافاً بالجميل لكلّ أساتذة مشوارنا الدراسي والجامعي خاصة كلية الآداب و اللغات قسم اللغة  
العربية و آدابها بجامعة المسيلة.

...إلى الجميع نرفع هذا الجهد محبةً واعترافاً بالجميل...

## مقدمة:

ساهمت الرواية الجزائرية منذ نشأتها بشكل كبير في بناء صرح معرفي خاصّ بالإنسان و هويته و ثقافته، بالإضافة إلى أنها عرّفت بتقاليده و موروثه الأدبي بشكل عام ، و هي لا تزال حقلًا خصبا يجذب إليه الكُتّاب و الدارسين من كلّ حذب و صوب، وربما ساهم تأخر ظهور هذا الجنس الأدبي بجذب الباحثين الجزائريين الجدد - ما بعد الاستقلال- إلى الاهتمام بالرواية كحقل معرفي وفني جديد كتابة ودراسة، ويعود هذا التأخر لعاملين أساسيين معروفين و هما : الاستعمار الفرنسي و ما كان يمارسه من تضيق على اللّغة العربية و مستعملها، إضافة إلى جمعية علماء المسلمين و ميولها الإصلاحية، و هذا لم يكن بدوره حقلًا للرواية الجزائرية التي تتشعب مواضيعها.

ولمّا برزت الرواية الجزائرية للوجود تطورت عبر مراحل تباينت فيها ما بين البساطة والرومانسية والواقعية والتشاؤمية والمتطلّعة إلى أن نضجت وضمّت إلى ما سُمي بالرواية الجديدة؛ إذ أصبحت تعجّ بثقوى الصور والرموز الدلالية ضاربة في جذور تاريخ الإنسان الجزائري وحاضره ومستقبله في العصر الحديث و لعلّ رواية (الشجرة المباركة لعبد الحميد مغيث) أحد هذه النصوص الروائية التي نكتشف من خلالها هوية الفرد الجزائري وحياته، ومكان عيشه، و قد اشتغل الكاتب في هذه الرواية على إبراز أهمّ ما تحمله الذات الجزائرية و ثقافتها، و أهمّ ما تحمله ذاكرة الفرد و الجماعة من أحداث في أزمنة مختلفة.

وبطبيعة الحال فإنّ من دواعي اختيارنا لهذا الموضوع ما هو موضوعي وما هو ذاتي. أمّا الأوّل فيتمثّل في رغبتنا في تقديم عمل جديد يبتعد عن الروتين التي ألفناها في عناوين البحوث المتعلقة بالرواية والتي في معظمها لا تخرج عن مجال الدرس البنوي، فأردنا أن نلج مجال النقد الثقافي ولو في مجاله البسيط حتّى نربط بين مكونات النص الروائي ومفاهيم فكرية كالذات والذاكرة والثقافة.

وأما الثاني فيتمثّل في رغبتنا إلى إظهار شخصية أدبية من منطقة الحضنة لم تكن محظوظة كفاية لتتال شهرة فأردنا نفض الغبار عنها، وتناول عمل من أعمالها والذي لمسنا فيه القوّة وهو ملائم للمجال الذي نودّ البحث فيه.

ولقد سعينا جاهدين في دراستنا هذه إلى إبراز العلاقة التي تربط هذه العناصر الأربعة (الذاكرة و المكان و الذات و الثقافة) من خلال تطرقها إلى استعمال عنصر السرد الذي بدوره يتطلّب عناصر عدة منها المكان و الزمان و الذات، والثقافة. و لعلّ العلاقة الرابطة بين كل هذه العناصر هي ما دفعنا

لاختيار هذه الرواية وإبراز كل عنصر من هذه العناصر و ربطها ببعضها البعض، وما التصق بالذاكرة وما حواه المكان من احتواء للذاكرة، ومن ثم أتت صياغتنا لموضوع بحثنا بـ " ذاكرة المكان وثقافة الذات في رواية " الشجرة المباركة" لعبد الحميد مغيش". لنكشف بذلك عن نوعية العلاقة بين هذه العناصر و مدى قوة ترابطها لأننا نعلم جيداً أنه لا ذاكرة بلا مكان و لا ذات بلا ثقافة. ولتفعيل هذه الدراسة عمدنا إلى طرح الأسئلة الآتية:

- هل للمكان تأثير على ذاكرة الفرد و الجماعة أم أنه محيط يستخدمه في حياته اليومية و فقط؟

- أبعاد الذاكرة محدّدة للهوية أم أنّ فاعلية الهوية غير مشروطة بها؟

- إلى أيّ مدى يمكن للثقافة أن تؤثر على الذات؟

- كيف تجلّت علاقة الثقافة بالذات و المكان، في رواية الشجرة المباركة ؟

وقد كانت دراستنا مابين التأويلية والنقد الثقافي ونحسبها في إطار النقد الثقافي متّكئين على القراءة و التأويل. والحقيقة أننا لم ندرك المقولات بشكل واضح، ولكن حسبنا أننا حاولنا تطبيق ولو الشيء اليسير منها.

وسار عملنا وفق خطة اقتضاها البحث، اشتملت على فصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

- **الفصل التمهيدي:** وهو فصل نظريّ ضمّناه أهمّ المفاهيم التي ارتكزت عليها الدّراسة، وهي: المكان، الثقافة، الذاكرة والذات. ويعدّ فصلاً تأسيسيّاً لأهمّ المفاهيم المستند إليها في الدراسة في الفصلين التاليين.

- **الفصل الأول:** وهو فصل تطبيقي حول مقاطع من الرواية، وتناولنا فيه ثلاثة مباحث؛ الأول خصّصناه للحديث عن تماهي الذاكرة في المكان، و العلاقة الرابطة بينهما باعتبارهما جزءان لا يتجزآن عن بعضهما البعض. أمّا المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن الذاكرة و الزمن، و بيّنا فيه كيف أنّ الذاكرة تكون تشويشاً للزمن في الرواية، و عمدنا من خلال هذا إلى إعادة ترتيب أفعال الرواية معتمدين على تقنيّتي الاسترجاع والاستباق.

- **الفصل الثاني:** وهو الآخر فصل تطبيقي تناولنا فيه النسق الثقافي في الرواية. قسّمناه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث؛ الأول خصّصناه للحديث عن ثقافة الذات و علاقتها بالمكان، و بيّنا من خلاله كيف أنّ للذات المثقفة إعادة بعث سيرورة المكان و إحياءه من جديد، و المبحث الثاني؛ تحدثنا فيه عن الذات

المتقفة و كيف تتلاشى في الأحياء و الأموات و الأشياء من خلال تقديم نماذج عديدة من الرواية. أما المبحث الثالث؛ فعمدنا فيه إلى إبراز قيمة المكان بالنسبة للذات، و كيف يمكن له أن يكون رصيذا و مرجعا تعود إليه الذات المتقفة.

وبطبيعة الحال نيلنا عملنا بخاتمة ضمناها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مراجع متنوعة، نشير منها على سبيل الذكر لا الحصر: كتاب "جماليات المكان" لصاحبه "غاستون باشلار" الذي أفدنا منه في إرساء مفهوم المكان وعلاقته بالذات والذاكرة، وكذلك كتاب نظرية الرواية للباحث "عبد الملك مرتاض" والذي مكنا من فهم عملية السرد التي ينجزها السارد في النص، وكذلك كتاب "تيار الوعي في الرواية الحديثة لـ"روبرت هومفري" الذي اطلعنا فيه عن مميزات الرواية الجديدة، كما أفدنا كثيرا من كتاب النقد الثقافي لـ"عبد الله الغدامي" لفهم بعض مقولات المنهج، وكذلك كتاب "جدل السياقات والأنساق" لـ"سليمة مسعودي" الذي أثار لنا كيفية العمل على مستوى النص، بالإضافة إلى عديد من المراجع الأخرى التي أنارت لنا بحثنا.

ولعلّ أهم العقبات التي واجهتنا هي جدّة الموضوع؛ فلم يسبق لنا - وحسب اطلاعنا- أن رأينا دراسات سابقة ربطت بين العناصر الأربعة المدروسة، و المقدمة في عملنا هذا.

والحقيقة أنّنا اخترنا الرواية وكنا نرغب في عمل مختلف، فكان عنوان الموضوع وخطته من تدبير وإعداد الأستاذة الدكتورة المشرفة الفاضلة "سعدية بن ستيي" التي أصرت على تنفيذه وشجعتنا على إتمامه وجعله إضافة إلى المكتبة الجامعية، فإننا شاكرين لها جهدها العظيم الذي سعينا إلى الاستفادة منه، فمن كلّ كلمة منها صنعت في أذهاننا فكرة، و من كل فكرة منها صنعت لنا دربا شققنا عبره الصعاب نحو مجال النقد الأدبي، فنسأل الله عز و جل أن يجزيها الجزاء الأوفى على ما أسدت إلينا من نصائح، و أنفقت من وقت، و قومت من عوج، و أن يكرمها باليقين و العافية، و الحسن و الزيادة، و الحمد لله ربي العالمين.

الفصل التمهيدي: مفاهيم نقدية (المكان - الثقافة - الذاكرة - الذات)

ارتأينا أن نؤطر لبحثنا بهذا الفصل النظري الذي نحسبه أرضية استناد للقارئ كي يتابع الدراسة في الفصلين المواليين، فتكون المفاهيم المقدمة كإشارة توضيحية لما سيرد من مصطلحات ومفاهيم، ومن هذه المفاهيم اخترنا: المكان والثقافة والذاكرة والذات.

أولاً: مفهوم المكان:

**1- المكان:** لاشك أن المكان يتبوأ مرتبة معتبرة في النص و حضوره مرهون بحسن استثمار الكاتب له و في خصم صراعه مع مخيلة المبدع . تتمو مكونات المكان لترسم معلما مضيئاً في مسار النص فيلفتنا إلى دوره الفعال و آليته المحكمة في أحضان كل مكوناته ، و لا ريب أنه جوهره و محيطه الذي تبنى كل الأحداث من حوله. و من هنا لابد لنا في دراستنا هذه أن نتطرق إلى مفهوم المكان و أنواعه:

**1-1 المكان فلسفياً:** لو بحثنا عن تعريف فلسفي للمكان لوجدنا أن هناك كثيراً من الفلاسفة قد أوردوا الكثير من التعريفات للمكان و من بينهم نجد " ابن سينا" حيث يقول: ( هو السطح الباطن من الجرم الحاوي للماس للسطح الظاهر للجسم المحوي و عند المتكلمين الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم و ينفذ فيه أبعاده (تعريفات الجرجاني ) و يرادفه الحيز)<sup>1</sup> حيث يفرضي من خلال هذا التعريف إلى أن المكان هو ذلك الحيز الذي يشغله جسم ما .

وإذا ما توجهنا إلى "أفلاطون" فإن المكان عنده ( هو الحاوي للموجودات المتكاثرة ، و محل التغيير و الحركة في العالم المحسوس) أما الفيلسوف الرياضي " إقليدس " فالمكان عنده ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق وقد ذهب " ديكارت " وهو أحد فلاسفة العصر الحديث أن المكان يمتد في الأبعاد الثلاثة كما حدده " إقليدس " ، في حين يعتبر " سبينوزا " و " مالبراش " أن المكان (امتداداً لا متناه) وهذا كل ما ذهب إليه " نيوتن " و " كلارك " حين وضعاً أربع خصائص للمكان هي:

ألا تناهي، الأبدية، القدم، عدم الفناء<sup>2</sup>.

وبالعودة إلى الفلاسفة المسلمين، فهم لم يبتعدوا في تعريفهم " للمكان " عمّا سبق ذكره؛ إذ نجد " الكندي " يذهب مذهب " أرسطو " في كون المكان لا يتأثر أو يتغير بما يحويه ، يضرب على ذلك مثلاً

<sup>1</sup> : بنية المكان و الشخصية في رواية " قصة حياة في طي النسيان " ل عيلة قدوار، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر 2016/2017، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، إعداد الطالبة أسماء كيمور، ص53.

<sup>2</sup> : تجليات المكان في رواية أشباح المدينة ل"بشير مفتي"، مذكرة تخرج شهادة الماستر 2013/2014، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي ، اعداد الطالبة كريمة سمار، ص 8

فيقول : (إنه إذا زاد الجسم أو نقص أو تحرك فلا بد أن يكون ذلك الجسم في شيء أكبر من الجسم ويحوي الجسم ونحن نسمي ما يحوي الجسم مكانا)<sup>1</sup>.

أما "الفراي" فإنه ينهل من فكرة "أرسطو" ويقتدي بموقف "الكندي" في مفهومه للمكان وإقراره بوجوده فيرى أنّ ( لكل جسم طبيعي مكان خاص ، به يتحدد هذا المكان وينجذب إليه )<sup>2</sup> ، كما يستلهم " أبو حيان التوحيدي " آراء من سبقوه ابتداء من "أرسطو فالكندي" ، ويلخص تعريفه للمكان في قوله مجيباً عن سؤال طرحه حول ماهية المكان : هو ( حيث التقى اثنان : المحيط والمحاط به ، وأيضا هو مماس من سطح الجسم الحاوي وانطباقه على الجسم )<sup>3</sup>

بمعنى أنّ المكان عنده هو ما كان بين سطح الحاوي و انطباقه على الجسم ذاته.

كما نجد " أبو حامد الغزالي " لا يختلف عمّا قاله " الفراي " وابن " سينا " وغيرهم والذين أجمعوا على أن المكان هو السطح الحاوي للجسم المحوي وذلك في قوله : ( إن المكان عبارة عن سطح الجسم الحاوي ، أي سطح الباطن المماس الحاوي للمحوي )<sup>4</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات التي تضاربت فيما بينها في أجزاء و توافقت في أجزاء أخرى نجدها تصب في مصب واحد هو أن المكان سطحا حاويا لجسم محوي معتبرة إياه مجرد جسم جامد خال من كل دلالة، وإن فصلوه حتى عن الأشياء التي يحويها، ونفوا أي علاقة تأثر وتأثير بينهما واعتمدوا الدقة في تعاريفهم ، في حين أن المكان قد يتجاوز هذه الدقة العلمية الرياضية إذا ما ارتبط بصفة التخيل التي أكسبته إياه الآراء الأدبية المختلفة، فالمكان أو غيره من المفاهيم الجامدة ما إن يدخل الساحة الأدبية يصبح له مفهوماً آخر وخاصية أخرى تزيده خصوصية و وضوحاً خاصة في جانبه التخيلي.

**1-2 المكان أدبيا** : قبل التطرق إلى المفهوم الأدبي للمكان و التباين الذي قدمه النقاد فيه ارتأينا أن نقدم ملاحظتين حول المكان في الرواية:

- الملاحظة الأولى :تتمثل في أن الاهتمام بالمكان كعنصر من عناصر البناء الفني للعمل الإبداعي جاء متأخراً بالقياس بالنسبة إلى العناصر الأخرى التي ينهض بها العمل الإبداعي كالشخصية، والحوار، والوصف، والسرد وغيرها.

<sup>1</sup> : الكندي يعقوب أبو يوسف ، رسائل الكندي الفلسفية ، تر : محمد عبد الهادي أبو ريذة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ج2، 1953 ، ص32.

<sup>2</sup> : الكندي يعقوب أبو يوسف، رسائل الكندي الفلسفية، المرجع السابق، ص 32.

<sup>3</sup> : المرجع نفسه، ص 32.

<sup>4</sup> : المرجع نفسه، ص32.

- أما الملاحظة الثانية : فتشير إلى أن النقاد الذين اتخذوا من المكان حقلًا دلاليًا في دراساتهم قد أفادوا في تحديد مفهومه النقدي الإجرائي من مختلف المفاهيم التي طرحها الفلاسفة من قبل كالحيز ، والخلاء ، والفضاء ، والبعد..... الخ.

فالمكان بالرغم من أهميته في الرواية إلا أنه لم يسلط عليه الضوء (لم يدرس) إلا في القرن العشرين ووجد بأن المكان يعطي الانطباع الحقيقي للرواية - يعطي الانطباع بأن النص حقيقي - بالنسبة للقارئ. من هنا يمكن أن نذهب إلى المفهوم الأدبي للمكان فنقول أنه ( ليس مجالًا هندسيًا تضبط حدوده قياسات و أبعاد خاضعة لحسابات دقيقة ، كما هو الشأن بالنسبة للأمثلة الجغرافية ذات الحضور الطبوغرافي و إنما يتشكل في التجربة الأدبية ، انطلاقًا و استجابة لما عاشه و عايشه الأديب على مستوى اللحظة الآتية مائلًا بتفاصيله و معالمه، أو على مستوى التخيل بملامحه و ظلاله )<sup>1</sup> .

هذا يعني أن الأماكن غير محدود و بعيدا عن القياسات الهندسية الدقيقة ، و هو مرتبط بجميع العناصر التي يبني عليها الحدث الروائي، و مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث الروائية، و هو عنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي كما يرى " حسن بحراوي " ( فالمكان ليس مكانًا معتادًا كالذي نعيش فيه أو نخترقه يوميًا ولكنه يتشكل كعنصر من العناصر المكونة للحدث الروائي ... ومهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث )<sup>2</sup> و أما " غاستون باشلار " فنجدته يركز على المفهوم الفني للمكان الذي يعتبره كل البعد بعيدا عن الجانب الهندسي فيقول: (المكان الذي ننجذب نحوه و ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ، ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز ، إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية )<sup>3</sup>

وهذا معناه أن المكان الأدبي و الفني لا يجسدان على أرض الواقع بل يقوم الروائي بتجسيده في روايته ليأخذ القارئ إلى الخيال الذي يجعله يجور بجسد هذه الأمكنة بفكره و ربما يكون تعريف " باشلار " للمكان أدبيا و فنيا هو أول ما وصل إلى نقادنا كمفهوم فني للمكان .

<sup>1</sup> : تجليات المكان في رواية أشباح المدينة ل "بشير مفتي" ، مرجع سابق ، ص54.

<sup>2</sup> : حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2، 2009 ، ص30.

<sup>3</sup> : غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984 ، ص31 .

أما "ياسين النصير" فنجد عنده المكان يتلخص في الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه حيث يقول : ( فهو في العمل الفني شخصية متماسكة إضافة إلى أنه رواية لأمر غاية في الذات الاجتماعية )<sup>1</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات نجد أن أغلبية النقاد و الدارسين أجمعوا على أن المكان يشمل على عدة نقاط تساهم في تحديده و أبعاده تكمن في التصور و الحالة النفسية و الوضع الاجتماعي ، غير أن هناك مصطلحات أخرى تتقارب و مفهوم المكان تقارباً يكاد يكون دقيقاً ارتأينا على أن لا نغفل الإشارة إليها و هي ( الفضاء ، الحيز ) غير أن هناك تباينات بين هذه المصطلحات تجعل لكل منها استعمال في سياق معين.\*

## 2- أنواع المكان:

لو بحثنا جيداً و دققنا النظر لوجدنا أن هناك عدة أنواع من الأمكنة حسب أغلب الدراسات النقدية الحديث حيث أصبح المكان الروائي يحمل دلالات مختلفة حسب تفاعل عناصره و أنساقه فقد قسم "مول" Moles و "رومير" Rohmer الأمكنة إلى:

- **عندي** : هو مكان الألفة و المكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل سلطته.
  - **عند الآخرين** : وهو قريب من المفهوم السابق، حيث يكسب فيه الإنسان ألقته، إلا أن السلطة هنا خاضعة للغير كمكان البيت.
  - **الأماكن العمومية** : وهذه الأماكن خاضعة لسلطة الغير العامة، ويشعر الإنسان فيها بالحرية ويمكنه أن يخرج فيه من السلطة التي تحكمه، ولكن الشعور بالحرية محدود كالمقهى أو المتنزهات العامة.
  - **المكان اللامتناهي** : وهو المكان الواسع ذو الرحابة، عادة ما يلجأ إليه الإنسان إذا أحس بالضيق حيث لا يكون هذا المكان ملكاً لأحد كالبحر و الصحراء... كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه<sup>2</sup>.
- فالمكان مجسد في الصور التي تقدمها الرواية، وقد يكون مكاناً ظاهراً حيث يصفه الروائي وصفاً دقيقاً أو باطنياً يدفعك إلى استنباطه من خلال رموز الكلمات و تطور الأحداث، وهذه الأساسيات هي التي تكشف عن المكان و تسهم في فاعليته و إعطائه دلالاته داخل النص الروائي.

<sup>1</sup> : ياسين النصير، الرواية و المكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط، 1986 ص 17

\* - الفضاء أوسع من المكان لذا الفضاء يمكن أن يشمل عدة أماكن كالزاوية و الركن و السطح و القاع أما الحيز فعبّر به عن الخلاء الذي يمكن أن يكون مشغولاً بجسم ما أو غير مشغول.

<sup>2</sup> : ينظر: فتحة كلوش ، بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط1، 2008 ، ص 19.

بينما نجد تقسيمات أخرى للمكان عند "غالب هلسا" وهي تصنيفات يمكن القول عنها أنها لم تخرج عن إطار التصنيف الأول، ويمكن حصرها فيم يلي:

- **المكان المجازي** : وهذا النوع من الأمكنة نجده في رواية الأحداث المتتالية، يكون فيها المكان مسرحا وساحة للحدث ومكملا لها.

- **المكان الهندسي** :وهنا يكون عرض الأمكنة الخارجية التي تعني الرواية، بوصفها بكل دقة وحياد.

- **المكان كتجربة معاشة** :وهو ما له علاقة بإحياء ذكرى من ذكريات المتلقي، أو تجربة عاشها، وهو المكان الذي يترك أثرا في نفس المتلقي.

- **المكان المعادي** :وهو عكس المكان الأليف، فهو مكان معادي مثل: **الغربة، والسجن ..**<sup>1</sup>

ومن هذه التقسيمات استنتج " هلسا" حوالي 29 نوعا للمكان كلها تتدرج تحت هذه الأنواع الأربعة من خلال هذه التقسيمات للمكان نرى بأنه يتميز بخصائص مجازية لها دلالات جمالية إبداعية تضفي على النص بعدا فنيا وتحدث في المتلقي أثرا نفسيا، يتضح هذا الأثر في مشاركة المتلقي للمبدع ومعايشته للأمكنة مما يستدعي حضور ذكريات هذا المكان، الذي يترك في مخيلته أحداثا ومواقف شتى لا يمكن أن يتناساها لأن الوجود الإنساني لا يتحقق إلا بوجود المكان الذي هو (عالم بلا حدود وبحر دون ساحل، وليل دون صباح ونهار دون مساء، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات، وفي كل الأفاق)<sup>2</sup>.

إذا فالمكان يتكيف مع احتياجات السارد النفسية والاجتماعية فهو الفضاء اللامتناهي والحر الذي لا سلطة فيه .(وإن معايشة الإنسان للمكان وتآلفه معه، أو معاداته له، يشكل الخلفية الارتكازية لكل تصور أو توجه أو تشكيل فني)<sup>3</sup> كما أنه المنطلق لكل تصرف وسلوك الإنسان يفسر من خلال الفضاء الذي يكون كائنا فيه.

كما نجد أن الدارسة " أسماء شاهين " من خلال دراستها لبعض أعمال "جبران خليل جبران"

توصلت إلى أن المكان ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

- **المكان المغلق** : و يضم البيت، السجن، المقهى، الملهى.

- **المكان المفتوح**: ويشمل الصحراء، البحر و الشارع.

<sup>1</sup> : محمد عزام، شعرية، الخطاب السردى، ص 67-68.

<sup>2</sup> : عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 57 .

<sup>3</sup> : قادة عقاق ، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر ، جدل المكان و الزمان ، دار الغرب للنشر و التوزيع ،وهران، ط 2002 ، ص

- المكان المدينة: و تتفرع إلى المدينة الحلم و المدينة الواقعية.<sup>1</sup>

### 3- أهمية المكان :

يمثل المكان في الرواية عنصرا مهما من عناصر السرد الروائي، لأن المكان في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالنص وبكل ما يحويه من شخصيات وأزمنة وحوادث، وبما أن المكان عنصر يتميز بخصوصيته وبوظائفه المتعددة التي تتحكم في تكوين إطار الحدث كما أنها تساعد القارئ على التخيل وتصور الأمكنة التي يعرضها الروائي سواء كانت أمكنة مغلقة أم منفتحة أو أمكنة ذات أبعاد سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فلسفية.

للمكان دور هام في تفعيل العمل الأدبي والفني (فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية)<sup>2</sup> فمن خلال المكان وما يحدث فيه يمكن قراءة وفهم كل حدث وتفاعلات الشخصيات وحركيتهم مع المكان. فوظيفة المكان هي وظيفة جمالية دلالية ذات بعد رامي في صنع الإبداع الفني. إن المكان (ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله)<sup>3</sup>.

إذا يمكننا القول بأن المكان هو نقطة انطلاق الكاتب وهو المكون الأساسي لبنية النص ككل ولذا يصبح المكان عنصرا فاعلا في الرواية وفي تطورها وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وفي علاقات بعضها ببعضها الآخر. فهو البنية الأساسية لتشكيل الحدث الروائي والحدث (لا يقدم سوى مصحوب بجميع إحدائياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية)<sup>4</sup>، وكل هذا ضروري من أجل نمو وتطور السرد لأنه بحاجة إلى عناصر زمانية ومكانية.

### ثانيا: مفهوم الثقافة:

1- الثقافة: ترتبط الثقافة بمفهوم الهوية والفضاء الاجتماعي حيث تنتج هوية الأفراد في فضاء اجتماعي محدد مسبقا استنادا إلى مبدأ أساسي قوامه أن الإنسان ابن بيئته، وتتجلى ثقافته من خلال عادات وتقاليد وقيم مجتمعه، وهو ما تشغل عليه المنظومة القيمية في المخيال الاجتماعي انطلاقا من وظيفة ومرجعية

<sup>1</sup> : بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عبد الجليل مرتاض نموذج ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

2014/2013 اعداد الطالب اسماعيل زغودة ، ص 205.

<sup>2</sup> : أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، ص 50.

<sup>3</sup> : حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 23.

<sup>4</sup> : المرجع نفسه، ص 29.

تتجلى عبر قناعات يمتلكها المجتمع لاستحسان او استحسان سلوك او أفكار. و قد نرى مفاهيم عدة للثقافة تنوعت هذه المفاهيم من مفكر لآخر و من دارس لآخر كما سنرى في بحثنا هذا.

**1-1 الثقافة أدبيا:** تتداخل الثقافة في مفهومها الأدبي و الكوني مع مفهوم الحضارة إذ أكد عالم الأنثروبولوجيا " إدوارد بارنات تايلور " في أول تعريف عالمي للثقافة ( إن الثقافة أو الحضارة موضوعة في معناها الإثنولوجي الأكثر اتساعا هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاق و القانون و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع )<sup>1</sup> في حين يعرف " معجم أكسفورد " الثقافة بوصفها: ذيب الذوق وأساليب التعامل وتنمية العقل عن طريق التعليم و التدريب على التفكير الدقيق.<sup>2</sup>

من خلال هذا المفهوم، يمكن أن نقول عن الثقافة أنها تلك التطورات و التقدمات التي طالت الإنسان منذ وجوده إلى يومنا هذا من جميع النواحي الفنية و الفكرية و القانونية و الأخلاقية التي جعلته يكتسب مهارات ليجعل حياته أسهل .

**1-2 الثقافة فلسفيا و نقديا :** لم يتفق العلماء على تعريف واحد أو توافقي للثقافة، فقد عرفها " غرامشي " أنها (ذلك المخزون الحي في الذاكرة كمركب كلي ونمو تراكمي ومكون من محصلة العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات والفنون والآداب والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد، والمدرجات الذهنية والحسية والموروثات التاريخية والبيئية التي تصوغ فكر الإنسان وتمنحه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تصوغ سلوكه العملي في الحياة ).<sup>3</sup>

و يعرف " ليفي شتراوس " الثقافة بوصفها (مجموعة من المنظومات الرمزية التي تحتل المرتبة الأولى فيها اللغة وقواعد الزواج والعلاقات الاقتصادية والفن والدين والعلم، وهذه المنظومات كلها دف الى التعبير عن بعض أوجه الواقع المادي والواقع الاجتماعي وكذلك العلاقات التي يقيمها هذان النمطان مع بعضهما البعض وتلك التي تقوم بين المنظومات الرمزية نفسها مع بعضها البعض)<sup>4</sup>.

## 2- أنواع و أشكال الثقافة:

يمكن أن نلاحظ الثقافة في جميع ميادين الحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الدينية و التاريخية. ومن منظور آخر فهي تقسم إلى نوعين :

<sup>1</sup> : محمد الصديق العمري ، الثقافة بين الأنا و الأنا الآخر ، مجلة الرسمية ، المجلد 2، العدد1، تاريخ النشر 01-06-2021، ص 30.

<sup>2</sup> : المرجع نفسه ، ص 1424.

<sup>3</sup> : المرجع نفسه، ص1424.

<sup>4</sup> : المرجع نفسه، ص 1425.

**1-2 الثقافة المادية Material Culture** : تعبر الثقافة المادية عن كل ما هو محسوس ويعبر عن الجانب الثقافي للمجتمع، حيث تشتهر العديد من دول العالم باحتوائها على صناعات معينة تمكنت من تشكيل جانب هام ومميز من موروثها الاجتماعي والثقافي ولا سيما بعض الدول الصناعية التي قد تمكنت من الدخول إلى قلب الشعوب الأخرى وذلك من خلال الصناعات التي قد انخرطت بشكل تدريجي في حياة المواطنين، حيث أصبحت العديد من الممارسات اليومية تتم عن طريق هذه الصناعات العبقريّة، وتعد صناعة السيارات واحدة من أبرز هذه الصناعات بالإضافة إلى الماركات التجارية العالمية المرتبطة بها والتي دائماً ما تعكس العصرية والفخامة للمجتمع.

## **2-2 الثقافة غير المادية Non material Culture** :

تعبّر الثقافة غير المادية عن كل ما هو غير محسوس ويعبر عن الجانب الثقافي، حيث يضم ذلك العديد من المعتقدات والمعارف والأعراف والسلوكيات الاجتماعية والعادات والتقاليد، وتتميز الثقافة غير المادية بأنها تساهم في تشكيل الحالة الثقافية لشعوب العالم الإنساني، كما أنها توفر بعض الخصوصية للمواطنين وفقاً لما يناسبها من أدوار اجتماعية وطرق من أجل التواصل بين الشعب وأفراد المجتمع الواحد<sup>1</sup>.

ويمكن للفرد اكتساب الثقافة من خلال عدة مصادر نذكر من بينها : القراءة و السفر و مشاهدة الأفلام ،و الموسيقى و التعبير عن الذات ، و شبكة الانترنت و غيرها.

### **ثالثاً: مفهوم الذاكرة:**

**1- الذاكرة:** أصبح الاهتمام بالذاكرة في النصف الثاني من القرن العشرين من أكثر اهتمامات علم النفس العلمية التي حظيت بالدراسة والاهتمام، و منه فإن الذاكرة تعمل الذاكرة بشكل عام على تخزين المعلومات واستدعائها، ومن الممكن تفسير مفهوم ومصطلح الذاكرة بحسب المجال أو الجانب الذي يتم استعمالها وتوظيفها من خلاله، ففي العلوم الفسيولوجية والعصبية من الممكن تعريفها على أنها القدرة على استقبال المعلومات والخبرات، وتخزينها، والمحافظة عليها، وذلك ليتم استدعاؤها واستعادتها عند الحاجة. أمّا في علم النفس فقد تم تعريف الذاكرة على أنها الإمكانية التي يتم بموجبها تكييف السلوكيات بما يتناسب مع الخبرات التي يمر بها الإنسان، ومن الممكن تعريفها بشكل أوضح على أنها عملية عقلية معرفية تعمل على خزن، وحفظ المعلومات، والخبرات والمواقف المختلفة التي يمر بها الإنسان ويتعلمها؛ وذلك بغرض

<sup>1</sup> :هبة حيدر ، موسوعة عالم المعرفة الإلكترونية ، ماهي أنواع الثقافة ، تاريخ النشر 4 أبريل 2021.

استعادتها واسترجاعها عند الحاجة لها، ويقوم عمل الذاكرة على استعادة المعلومات المطلوبة بعد فترة من الزمن سواءً كانت طويلة أو قصيرة.

**1-1 الذاكرة فلسفياً:** إنَّ تحرير مفهوم الذاكرة، والتذكُّر، والذكريات، من أسر حصريتها الماضوية، التي احتسبتها فيه المرجعية اللغوية والعرفية الثقافية المتداولة، للمفارقة، في النسقين: النخبوي المشتغل بالتدوير الكتابي للمتواضع الاصطلاحي، والمجمعي المنشغل بالتكريس لماضوية ومحدودية الحركة التفاعلية للفرد بنتشئته؛ اعتيادياً، تقليدياً، باعتبار أن الذاكرة مجرد حاوية استرجاعية لمنققات جمعية، قدستها منظومة معقدة من التورث الوجداني. من ثم، تواجه أية محاولة فلسفية نابهة وأمينة، للخروج بالذاكرة إلى أصالة دورها التجديدي في حياة الإنسان محاولات تخطئة للوعي، متخذة مختلف أنماط التنشئة الاستتباعية، وإن خالفت وعي الذاكرة العقلي. جاء في القرآن الكريم، الآية 117 من سورة البقرة: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا أَفَعَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ). فالتنشئة منظومة متداخلة من السلوك والمعتقدات، التي تعمل ضدَّ وعي الذاكرة والتذكُّر في فاعليتهما الفكرية والاعتبارية، بينما المكان هو محتوى الذاكرة الشاهد في صمت، المؤثِّق بالآثار.

لهذا، فإنَّ ما نود التركيز عليه؛ هو أن الذاكرة ليست آلة ماضوية الضبط، والتذكُّر ليس استدعاء ماضوياً مُستَوْقفاً، وإنما هو جماع اشتغال الوعي في استمرار يته وحاضره المضارع. وهذا هو الاستعداد المنهجي الذي قدّمه القرآن للتجلّي الدائم لمفهوم الذاكرة في مكافئ فعال للوجود الحيوي للإنسان، ومنتزل ذلك كل ارتباطاته الوجدانية والمعرفية بالمكان، والزمان والشخص، والأحوال، والأحداث.<sup>1</sup>

**1-2 الذاكرة نقدياً:** هي مقر تخزين المعلومات والخبرات الجديدة، من أجل استرجاعها كل ما دعت الحاجة إلى ذلك. هي ذاكرة تدوم لمدة قصيرة مهمتها تخزين المعلومات وتفسيرها وتحليلها ثم يتم استرجاعها كما هو في مقياس بادلي لذاكرة العاملة.<sup>2</sup>

يمكن اعتبار الحديث عن الذاكرة كآليات تمثل الماضي واستحضاره، ومسارات تشكل. هذا التمثل من الناحية الاجتماعية والثقافية، حديثاً عن الثقافة في ذات الوقت<sup>3</sup>. «التمثل الانتقائي... للمعلومات التي تميز بشكل فريد خبرة معينة، والاحتفاظ بتلك المعلومات بطريقة منظمة في بنية الذاكرة

<sup>1</sup> : مقال ذاكرة المكان: الدائرة التأويلية بين التصورات الزمانية والظواهر المكانية المجلة الالكترونية ASPJ.

<sup>2</sup> : بوراس كهينة. (الذاكرة العاملة وعلاقتها بصعوبات تعلم الرياضيات لدى تلاميذ السنة الرابعة و الخامسة من التعليم ابتدائي).مجلة للطفولة و التربية، الموقع الالكتروني ASPJ، ص42.

<sup>3</sup> : شيخ سيسي، (اللغة والذاكرة في المستعمرات الفرنسية: السياق السنغال من لغة الثقافة إلى ثقافة اللغة!) تاريخ النشر 2021/06/05 مجلة أنثروبولوجيا. المجلد 07. العدد 01. السنة 2021. ص 275.

الحالية، وإعادة إنتاج بعض أو كل هذه المعلومات في زمن معين بالمستقبل، وذلك تحت ظروف أو شروط محددة.<sup>1</sup>

وتتقسم الذاكرة بدورها إلى ذاكرة فردية وأخرى جماعية، وهذا التقسيم لا يعني الانفصال الكلي بين النوعين بل إنما مرتبطان لأن «عملية التذكر الفردية لا يمكن أن تنشأ أو أن تتم إلا ضمن إطار اجتماعي معين»، كما أن الذاكرة الجماعية لا يمكن أن تتحقق دون أفراد لأن «الذاكرة الفردية هي ذاكرة الشاهد هي الرحم الذي ولد منه التاريخ ثم سجلت شهادة الشاهد تمثيلا حقيقيا للماضي يضعه أمام الأمة كي تكون عندها ذاكرة جماعية جاء من هذا الذي لم يعد قائما ولا تستطيع أن تستعيده وتتحقق من صدق هذه الاستعادة». ولا شك أن الذاكرة التي يشغل عليها المؤرخ تختلف عن تلك التي يستدعيها الفنان والمبدع.<sup>2</sup>

## 2- الاشتغال الفني للذاكرة:

**2-1 الذاكرة أداة تخيل للمرجع:** إن الاشتغال على الذاكرة في النص الروائي لا يعني استنساخ المرجع الواقعي بحرفيته لأن الذاكرة بالأساس ليست سوى عملية انتقائية وتأويلية، والارتكاز على الذات في هذه الكتابات يستبطن جدلا بين الأنا والآخر والداخل والخارج والذاتي والموضوعي. ولا تعني قوة الإحالة المرجعية في هذه الكتابات إذا منعدمة الصلة بالتخييل. فكثيرا ما اكتسبت ذات المؤلف أبعادا نفسية ورمزية تنشأ داخل فعل الكتابة، وكثيرا ما اتسمت وقائع حياته بسمات تخيلية لم تكن لها في الواقع المرجعي التاريخي. ذلك أن الكتابة وإن جعلت همها الأول التعريف بالذات وسرد قصة حياتها هي دائما خلق للذات وانبعث لها جديد).

**2-2 الذاكرة والتوالد الحكائي:** تعد الذاكرة واحدة من آليات التنازل الحكائي، حيث تتداعى الذكريات تباعا.<sup>3</sup>

- اشتغال خطاب الذاكرة في الرواية.

- الاشتغال الجذري.

**2-3 الذاكرة ورحلة البحث عن الذات:** مذ كانت الذاكرة كانت الخطيئة، كيف لا و« ربة الذاكرة منيموزين Mnemosy في الأساطير الإغريقية، هي نتاج للعلاقة السفاحية بين أورانوس إله السماء وأمه

<sup>1</sup> : د حنينة طيبش. اشتغال الذاكرة في الكتابة النسائية. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مجلد 08: عدد 02: السنة 2019 رقم العدد التسلسلي 17 ص 120.

<sup>2</sup> : المرجع نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> -ينظر، د حنينة طيبش. اشتغال الذاكرة في الكتابة النسائية. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2019 رقم العدد التسلسلي 17، ص 122.

غايا Gaya ربة الأرض» وتتضاعف هذه الخطيئة عندما تتأنتث الذاكرة لتبحث عن هوية الذات والكينونة... في المجتمعات.

**2-4 الذاكرة وخطاب الكنتية:** طبيعي أن يرتبط خطاب الذاكرة بخطاب الكنتية، ولكن فعل تذكر "كان" يرتبط بضمير المتكلم وارتبط بضمير الغائب .. إن لعبة الضمائر تفرض نفسها لتحدد لنا عمق الذاكرة ومدى ارتباطها بالذات .. وتتحدد درجة هذا العمق بواسطة المسافة التي تفصل الذاكرة عن الذات.

**2-5 الذات والذاكرة المكانية:** يقر كثير من الدارسين المهتمين بالرواية النسائية المغاربية بارتباط المكان بالجسد في هذا النوع من الكتابة<sup>1</sup>

### 3 - أماكن الذاكرة:

**3-1 البعد الرمزي للمكان في الذاكرة:** إن الفضاء الفيزيائي يكتسي أهمية بالغة في تحديد الروابط التي تميز الفعل الاجتماعي لمجموعة إنسانية اقتسم أفرادها - في زمن ما - أجزاء من ذاكرة الفضاء... يقول "جيروم مونيه" (( إن الفضاءات تكتسي بعدا رمزيا. إذ تحمل أشياء أخرى و دلالات اجتماعية إلى جانب كونها مادية. ))

**3-2 الإنتاج الرسمي لرمزية المكان:** في جميع أنحاء العالم، تتركس الحكومات و المؤسسات التابعة لها حصة من سلطتها و صلاحيتها لتهيئ الفضاءات الرمزية.. و في هذا الصدد يؤكد جيروم مونيه أنه في القرن التاسع عشر تعاضم الاهتمام بالإنتاج المتسارع لرمزية المواطنة من خلال البنائيات والمعالم التي ترفع و تحيل على قيم المواطنة و المسؤولية الاجتماعية المتجسدة في تماثيل و رموز مثل العدالة و الحرية و الاستقلال أو الأبطال.<sup>2</sup>

**3-3 أماكن الذاكرة و رهانات المجتمع المدني:** لما كانت الذاكرة مرجعية أساسية للماضي و فهم واقعه و حيثياته، فإن التحدي الذي تطرحه يرتبط بشكل أساسي بمسألة استثمار الماضي من طرف ذاكرات متنافسة و متضاربة ذات طابع إنساني، بشكل يصبح الماضي يكتسح الحاضر على حد تعبير "هيلان والنبوران" (Helen wallenborn)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 120.

<sup>2</sup> - المجيد لهالي . (املكن الذاكرة بالمغرب: مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة تافيلالت نموذجا . مجلة العصور الجديدة. - فصلية صنف ج - المجلد 10 - العدد 2 (جوان) 1441هـ/2020 ص 362. بتصرف

<sup>3</sup> : المرجع نفسه، ص 362.

رابعاً: مفهوم الذات:

**1- الذات كمصطلح:** هي الفكرة التي يكونها الفرد عن نفسه في ضوء أهدافه و إمكاناته و معطيات الواقع، و هي نظام معقد يتكون نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين، و تتميز بفاعليتها في تحديد أفعال الفرد و إدراكه لما حوله و كذلك قابليتها للتعديل.

و يستخدم مفهوم الذات للإشارة إلى مفهوم الشخص عن نفسه و يمكن استبدالها بكلمة الأنا. وهي اللغة و الأفكار التي يحملها الشخص و المشاعر و الوجدان ثم السلوك الظاهر أو الباطن و تساهم فيها قيم الشخص التي من حوله على مستوى الإيمان أو مستويات الدنيا.

**1-1 تعريف الذات فلسفياً:** ترى "سامية شهبو" بأنه "معرفة الذات إدراكها و يتصف بالصدق والواقعية والحق والصرحة والمواجهة، فهو ليس مجرد الاعتراف بالحقائق ولكن أيضا التحقق من مغزى هذه الحقائق".

ويعرفها "أحمد قحطان"، بأنه (كل ما يتعلق بإدراك الفرد لنفسه، ومواقفه نحو نفسه، ونحو حاجاته، ومخاوفه، وتوقعاته) <sup>1</sup>.

ويرى كل من "علاء الدين كفاي" و"مايسة النيال" و"سهير سالم" بأنه (يشير إلى فكرتنا عن ذاتنا وما نملكه من قدرات وإمكانيات وما نستطيع أن نقوم به من أعمال بناء على هذه القدرات وتلك الإمكانيات، وهو لهذا أحد المفاهيم المركزية في علم النفس، بل إن بعض المدارس والتوجهات - ونظريات الشخصية بصفة خاصة - قامت على أساس هذا المفهوم).

من خلال ما سبق فإن مفهوم الذات يعبر عن الصورة التي يكونها الشخص عن نفسه، ويشمل على مختلف نواحي الشخصية من حيث الصفات والقدرات الجسمية والعقلية والاتجاهات والتفكير، ويتكون من محصلة إدراك الفرد لنفسه من ناحية وتفاعله مع الآخرين من ناحية أخرى.<sup>2</sup>

يشير مفهوم الذات إلى الكيفية التي نفكر بها بأنفسنا و نشعر نحوها، و يتولد إحساسنا بذواتنا من خلال التفاعل مع الآخرين ، و يرى "بيرنز Bums" إن مفهوم الذات يتألف من مجموعة معتقدات تقويمية يملكها الفرد حول ذاته ، بالإضافة لوصف الذات.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - إلهام يحيى عبد الولي المرتضى1، (مفهوم الذات لدى طالبات كلية التربية للطفولة المبكرة وعلاقته بلغة التخصص الدراسي) (عربي - انجليزي)، مجلة الطفولة، العدد 29 (عدد مايو 2018)، ص 835 .

<sup>2</sup>: نفس المرجع السابق، ص، 836.

<sup>3</sup> - بلحاج الصديق، (مفهوم الذات متعدد الأبعاد لدى المراهقين الممارسين للرياضة و المراهقين غير الممارسين للرياضة) دراسة مقارنة، معارف (مجلة علمية دولية محكمة) السنة 12 . العدد 22. (جوان 2017) ، ص2.

**1-2 تعريف الذات نقدياً:** نجد هذا المصطلح شائعاً بكثرة في علم النفس و الدراسات الأدبية إذا يعرفه "سيغ蒙德 فرويد" بقوله (الذات هي كل ما تشمل عليه من أفكار و طموحات و صراعات , أو توترات و حاجات فيزيولوجية , و حاجات نفسية كالحاجة للحب و الانتماء أو الأمن و تحقيق الذات و غيرها من الحاجات الدوافع). و معنى ذلك أن ( الذات / الأنا) مرتبة بحيات الفرد الشخصية و تلبى حاجاته الغير بيولوجية و الغريزية في حين يعرف "جيمس James" الأنا بقوله ( ذلك التيار من التفكير الذي يكون إحساس المرء بهوية الشخصية). أي أن التفكير هو الذي يثبت وجود هوية الشخص , و دليل ذلك ما جاء في الكوجيتو الديكارتي « أنا أفكر إذن أنا موجود»<sup>1</sup>.

كما نجد مفهوم ( مبني على السيطرة ,سيطرت الذات على ما تتخذه موضوعاً لها سواء كان هذا الموضوع أشياء الطبيعة أو أناساً آخرين) هنا تتصف بالأناانية حيث تنسب لنفسها كل شيء تعتبر ملكها في السيطرة و المألقة . كما تعرض "روني لوكيس R-L'ecuyes" لمفهوم هذا المصطلح و عرفه بقوله ( مجموعة التنسيق للسمات الشخصية التي يسندها الفرد لنفسه حيث تنظم أولى تصورات تتعمق من خلال إدراك التصورات الذاتية مما يؤدي إلى بروز إحساس عميق بالوحدة و الانسجام و الثبات و الديمومة في الوقت و تسمح للفرد بالتعرف على نفسه في كل الأوقات مقارنة لنفسه بالآخرين)<sup>2</sup>.

## **2- خصائص مفهوم الذات:** للذات خصائص نجملها فيما يلي:

**أ- تنظيمية تركيبية:** إذ تشكل ضمان الفرد بكل تنوعها مجموعة المعلومات التي يؤسس عليها مفهومه عن ذاته، ومن أجل تسهيل استيعابه هذه الخبرات يضعها في زمر ذات صيغ أبسط وينظم الفئات التي يتبناها بحيث تكون إلى حد ما انعكاساً لتثقافته الخاصة<sup>3</sup>.

**ب- متعددة الأوجه:** إن نظام الفئة الذي يتبناه الفرد يتضمن مجالات عدة مثل (المدرسة والتقبل الاجتماعي والتقبل الفيزيولوجي والقدرة) .

**ج- الهرمية:** في أعلى الهرم مفهوم الذات ينقسم إلى مفهوم الذات الأكاديمي، مفهوم الذات غير الأكاديمي.

إن الاختلاف أو التناقض بين مفهوم الذات كما يراه الشخص لذاته ومفهوم الذات كما يراه الآخرون يزداد عادة كلما اتجهنا نحو الأعلى في الهرم.

<sup>1</sup> - بن رحال كوثر، تناني سمية (تمظهرات الذات والآخر في المكان والحوار من خلال رواية "في قلبي أنثى عبرية" لـ "خولة حمدي")، مذكرة ماستر ادب حديث، السنة الجامعية 2020/2019، جامعة المسيلة، ص 09.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 9.

<sup>3</sup> - ينظر: إلهام يحيى عبدالولي المرتضى<sup>1</sup> (مفهوم الذات لدى طالبات كلية التربية للطفولة المبكرة وعلاقته بلغة التخصص الدراسي (عربي - انجليزي))، مجلة الطفولة، العدد 29، (عدد مايو 2018)، ص 838.

د- مفهوم الذات العام أمر ثابت نسبياً: فكلما اتجهنا نحو الأسفل في هرم مفهوم الذات وجدنا أن المفهوم يعتمد على الحالة المحددة، وبالتالي يصبح أقل إثباتاً، وعند قاعدة الهرم نجد أن مفهوم الذات يختلف بشكل واضح حسب اختلاف الحالات.

هـ- التقييمية: فالفرد يطور فهمه لذاته في حالة خاصة، أو في فئة من الحالات، ويقوم بتقييم نفسه من تلك الحالات، وعملية التقييم هي تطبيق المقاييس المطلقة كالمثالية مثلاً، كما أن فهم قيمة الأبعاد التقييمية يعتمد على خبرات الفرد الماضية وبخاصة ثقافته الاجتماعية.

و- المظهر التطوري: إذ من الملاحظ أن الأطفال الصغار لا يميلون للتفريق بين أنفسهم وبين البيئة المحيطة بهم، وعندما يكبرون، ويتعلمون من خبراتهم الذاتية بناء المفاهيم كما تمثلها الكلمات - أنا - ذاتي وعند تصنيف الحوادث والحالات يبدؤون بالتفريق بين أنفسهم وبين البيئة.

- أبعاد مفهوم الذات: للذات أبعاد أربعة هي: الجسم، العقل، الروح، العاطفة .

- العوامل المؤثرة في مفهوم الذات - العلاقات الأسرية<sup>1</sup> - جماعات الزملاء ورفاق اللعب والأصدقاء.

- التفاعل الاجتماعي - التأثيرات الجسمية والعقلية.

3- نظريات مفهوم الذات: نورد فيما يلي بعض النظريات التي اهتمت بالذات وأعطت لها مجموعة من التأسيسات.

\* نظرية التحليل النفسي:<sup>2</sup> وضح العالم فرويد أن الاضطراب في الشخصية هو نتيجة كبت في الطفولة المبكرة مع إحباط شديد في الكبر.<sup>3</sup>

\* نظرية التعلم الاجتماعي: تعتبر شكلاً سلوكياً اجتماعياً معرفياً تصف لنا كيف لمجموعة من الكفاءات الشخصية والاجتماعية أن تتطور وتنمو لدى الفرد وسط الظروف الاجتماعية السائدة، والناس مهما كانت توجهاتهم يضربون النموذج والمثل ويعملون كقدوة للآخرين ويعززون ما يقدرونه ويعلون من قيمته ويدافعون عنه بالدليل والحجة "سهير كامل".

\* نظرية السلوكية: يؤكد رواد هذه المدرسة على أن تطور الإنسان هو عبارة عن سلسلة من التغيرات الناتجة عن تفاعل الفرد مع البيئة مما يؤدي إلى شخصية معينة. واهتموا كثيراً بالمشيرات التي تؤدي إلى

<sup>1</sup> - الهام يحيى عبد الولي المرتضى<sup>1</sup> ( مفهوم الذات لدى طالبات كلية التربية للطفولة المبكرة وعلاقته بلغة التخصص الدراسي (عربي - انجليزي)) مجلة الطفولة ، العدد 29 (عدد مايو 2018) ، نفس المرجع، ص 839.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 840.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 840.

السلوك والاستجابات (وهي ردود الأفعال) والتعزيز هو الذي يقوي الرابطة بين المثير والاستجابة ويؤدي إلى التعلم، واستخدم السلوكيون مفهوم التعلم كبديل للنمو "عزة غانم".

\* نظرية الذات: أكد روجرز على أن الفرد يعيش في عالمه الذاتي الخاص ويكون سلوكه تبعاً لإدراكه الذاتي أي أنه يركز على أهميته الذاتية، وأن الفرد يرمز أو يتجاهل أو ينكر خبراته المهددة فتصبح شعورية أو لا شعورية، ويرى أن الفرد له وحده الحق في تحقيق أهدافه وتقرير مصيره، وأشار إلى أن الاختبارات والمقاييس يمكن أن تستخدم حين يطلبها العميل وأن المعلومات التي يحصل عليها المرشد فيها يمكن الحصول على أفضل منها عن طريق المقابلة "سهير كامل" <sup>1</sup>.

**8 - الذات وظلالها في الشخصيات:** الشخصية الروائية مهما كانت تخيلية فإننا نجد لها معادلاً في الواقع المعيش لكون الكاتب لا ينطلق من فراغ في رسم شخصياته، إذ يتكئ على مرجعيات محفورة في لا وعيه ويسقطها على شخصياته الورقية ويقراً دلالتها المتلقي ومن هنا "يمكن التعامل مع الشخصية باعتبارها مورفيماً فارغاً أي بياضاً دلالياً، وهي بذلك لا تحيل إلا على نفسها وهو ما يعني أنها ليست معطى قبلياً وكلها جاهزاً، إنها تحتاج إلى بناء، بناء يقوم بإنجازه النص لحظة التوليد، وتقوم به الذات المستهلكة للنص لحظة التأويل" <sup>2</sup>.

ومعنى هذا أن الكاتب يعتمد على ذاكرته في رسم شخصيات روايته، و يستقيها من الواقع المعاش انطلاقاً من شخصيات موجودة في عقله الباطني مسبقاً، و هو يخرجها ليتلقاها المتلقي بعد أن يكون الكاتب قد أعاد بناءها على الورق أي في روايته .

<sup>1</sup> - الهام يحيى عبد الولي المرتضى1، ( مفهوم الذات لدى طالبات كلية التربية للطفولة المبكرة وعلاقته بلغة التخصص الدراسي (عربي - انجليزي)) مجلة الطفولة العدد 29 (عدد مايو 2018)، نفس المرجع، ص 841.

<sup>2</sup> - عيساني نزيهة و ابراهيم عبد النور / جامعة طاهري محمد بشار، (جدلية الذات و الوطن في رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح) مجلة دراسات، المجلد 07 / العدد 01، فبراير 2018، ص72 .

## الفصل الأول:

### الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

01- تماهي الذاكرة في المكان.

02- الذاكرة تشويش للزمن ( إعادة ترتيب للأفعال الروائية).

03- تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية.

**أولاً - تماهي الذاكرة في المكان:**

إن (الذاكرة كبناء فاعلي تخزيني وذخائري لها مرجعيات توّطر الشكلية التي تتخذها فقد تكون الذاكرة سياسية أو اجتماعية أو تاريخية أو أدبية وهذه الأخيرة تفترض وجود البعدين الواقعي والافتراضي لكي تؤدي وظيفتها الفنية داخل السرد على وفق الوعي بال لحظة الراهنة للحاضر وهذا الوعي يظل في حركته جارياً ولا تحدده أفكار تعسفية عن الزمن)<sup>1</sup>.

هذا يعني أن وظيفة الذاكرة تعتمد اعتماداً كلياً على تخزين و ادخار الوقائع لحظة وقوعها دون الإخلال بعامل الزمن و حسب مجالها المدروس ، و هي ملتصقة التصاقاً وثيقاً و مرتبطة ارتباطاً متيناً بالمكان فالأحداث حين نتذكرها تكون مرتبطة بمكان معين ولو نزعنا عنصر المكان لما استطعنا أن نتذكر هذه الأحداث و هذا ما يتعارف عليه بـ **تماهي الذاكرة في المكان** وتقوم على وظائف ثلاثة هي : الذاكرة العرضية و الذاكرة الدلالية ، و الذاكرة المكانية ، وهذه الأخيرة هي التي نحن بصدد التركيز عليها في بحثنا هذا إلا انه إن كان ولا بد فلا بأس من الإشارة إلى باقي الوظائف الأخرى إشارة مختصرة و بسيطة.

**1- الذاكرة العرضية:**

تتكون الذاكرة العرضية من (تخزين وتذكر المعلومات الرصدية التي تتعلق بأحداث معينة في الحياة، حيث يمكن أن تكون ذكريات حدثت لموضوع معين أو مجرد ذكريات لأحداث وقعت حولهم، كما أن الرحلة العقلية هي إعادة مختلف التفاصيل السياقية والظرفية للتجارب السابقة)<sup>2</sup>.

فمثلاً نجد الرواية تأتي على وصف الكاتب للأحداث العابرة التي وقعت في حياته كعودة الكاتب من العاصمة التي كانت مقر عمله كصحفي وصولاً إلى ولاية المسيلة مسقط رأسه و العودة إلى أيام الطفولة من خلال رسم لبعض الأحداث التي وقعت له حين ذاك كحادث المرور في منطقة "الدهاهنة" و شوارع المدينة و أزقتها و دكاكينها، و ذكر بعض الأسواق كسوق سيدي عيسى، و دخوله المستشفى وموت صديق الدراسة بالشفقة المؤجرة إلى غير ذلك من الأحداث المترامية في أطراف و بين أسطر الرواية.

ويمكن التفكير في استرجاع هذه الذكريات العرضية على أنها عمل من إعادة التأهيل العقلي بالتفصيل للأحداث الماضية، حيث يعتقد بأن الذاكرة العرضية هي النظام الذي يوفر الدعم الأساسي للذاكرة الدلالية.

<sup>1</sup> : روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة د. محمود الربيعي، دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية، 1975 /ص63.

<sup>2</sup> : بكر السباين، صحيفة المثقف ، قراءات نقدية (أدب ومسرح) ، العدد 5458 ، الصادر :الاحد 15 - 08 - 2021 م .

2- الذاكرة الدلالية:

وتعود إلى المعرفة العالمية العامة حيث أنها (مستقلة عن التجربة الشخصية. وهذا يشمل المعرفة العالمية ومعرفة الكائن والمعرفة اللغوية والتفكير المفاهيمي. يمكننا أن نتعلم عن المفاهيم الجديدة من خلال تطبيق معرفتنا المستفادة من الأشياء الماضية)<sup>1</sup>.

وتشمل الأمثلة الأخرى للذاكرة الدلالية أنواع الكتابة ودلالاتها وتصنيفاتها بناءً على ما الأسلوب والمفردات التي تتلاءم ونوعية المناسبة، وهذا يدخل في صلب تعدد الأساليب في البناء الروائي وزخرفة الواجهة بالمحسنات اللغوية والصور الجميلة وتوظيف كل ذلك في الكشف عن التفاصيل بالتدرج من خلال عنصر التشويق؛ لأن الذاكرة الدلالية لها علاقة بالأنظمة ومحدداتها الوصفية، بالإضافة إلى محتويات المعاجم والموسوعات من الناحية الوظيفية.. فهي تزود الراوي بالمعلومات العامة للأمكنة ووصف الظروف البيئية التي سيشقها نهر الأحداث في مسيرته خلالها ويحمل من طبيعتها ما يصدر من ازدحام الحياة فيها، أو من عقب حدائق على ضفتيه.<sup>2</sup>

ج - الذاكرة المكانية:

تعد الذاكرة المكانية (جزء من الذاكرة المسؤولة عن تسجيل المعلومات حول بيئة الشخص وتوجهه المكاني. على سبيل المثال، فإن الذاكرة المكانية للشخص مطلوبة للتنقل في أنحاء مدينة يكثُر التردد إليها)<sup>3</sup> أو يعيش فيها تفاصيل حياته.

ينطلق الكاتب من أمكنة معينة عادت به الذاكرة إليها ، فنجد في بداية الرواية يربط ميلاد " عبد المجيد بولخصايل " ( الشخصية الوهمية لخاله التي بدأت الرواية بميلاده و انتهت بوفاته ) بمكان ميلاده فيقول: ( في بيت قروي بعيد البحر، قريب من الملح و حكايات الثوار و هم يواجهون الظلم في ثنايا الظلام... )<sup>4</sup> في إشارة منه إلى المكان الذي بقيت ذاكرته معلقة به حيث ولد خاله الشهم البطل الرمز الذي كان يسكن بالقرب من شط الحضنة و هي منطقة قروية بضواحي مدينة المسيلة حيث نشأ الكاتب أيضا و ارتبطت ذاكرته أيضا بمناطق أخرى ((كالدهانه و المعاضيد و حمام الضلعة و سيدي عيسى )) و بعض جبال و غابات المنطقة (( المسيلة ككل )) ليصور لنا الكاتب بيئته التي نشأ بها من أبعاد شتى و ربما أراد كغيره من الكتاب رسم صعوبة الطبيعة الجغرافية لتلك البيئة كما هو متعارف عليه و قساوة العيش فيها.

<sup>1</sup> : بكر السبائين صحيفة المثقف ، قراءات نقدية (أدب ومسرح) ، العدد 5458 ، الصادر: الاحد 15 - 08 - 2021م.

<sup>2</sup> : المرجع نفسه.

<sup>3</sup> : المرجع نفسه.

<sup>4</sup> : عبد الحميد مغيش ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شويان ، الرويبة ، الجزائر، 2018 ، ص 3.

انتقل الكاتب بذاكرته مرة أخرى ليصور لنا ذلك ((الدكان ))الموجود على بعد بضعة كيلومترات من منزله وربما كان الدكان الوحيد أو كاد أن يكون في تلك المنطقة فيخبر عنه بقوله:  
(و قصدت مباشرة محلا يقع بممر قديم في ذلك الجزء القريب من وسط المدينة مسافة تقل عن كيلو مترين اثنين و لما وصلت ممتلئ النفس لارتداء ما ألفته كثيرا في طفولتي ، فاجأني صاحب المحل بنفاذ القبعات )<sup>1</sup> .

هنا ذاكرة الكاتب نراها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمكان الذي اعتاد أن يبتاع منه القبعات التي يحبها مذ أن كان صغيرا و ربما دلت عبارة ( ممتلئ النفس ) عن الشعور الذي كان يرتابه و هو في الطريق الذي كان يفضي إلى ذلك المحل الذي اعتاد أن يجد فيه ضالته ، وهو ما جعل ذاكرته تتعلق به ، و ربما هو ما دفعه إلى تحمل عناء التنقل إليه رغم بعده عن منزله، ثم يعبر عن خيبته حين لم يجد مبتغاه و قد كانت له بمثابة الصدمة و نراه عبر عن ذلك بكلمة ( فاجأني ) .

وبغض النظر عن نوعية الأمكنة أكانت مفتوحة أم منغلقة أو ريف أو مدينة نقدم في دراستنا هذه نماذج لأماكن ارتبطت بها ذاكرة الكاتب و امتزجت واقتترنت بأحداث سواء أكانت بارزة أم غير بارزة - أحداث مهمة أو أحداث غير مهمة وظيفها الكاتب للإشارة إلى أشياء أخرى كالأشخاص و الأماكن و توضيح الرؤيا للقارئ و أبعاد أخرى - و بغض النظر عن تسلسلها و ترابطها أو أنها عبارة عن أحداث وقعت في زمن مضى يعود إليها الكاتب بذاكرته من أجل استبيان فكرة ما يريد أن يعبر عنها في الوقت الراهن فإننا تطرقنا في هذا الجزء من بحثنا إلى دراسة ارتباط الذاكرة بتلك الأمكنة فقط و هذا ما يهمننا في دراستنا هذه، فنجد مثلا يذكر المستشفى و هو المكان الذي قضى به مدة ليست بالقصيرة بعد حادث السير الذي تعرض له بمدينة ((برهوم )) و هو مستشفى بمدينة ((سيدي عيسى )) و الذي كان حسب رواته فحرا لسكان هذه المدينة لأنه كان مستشفى من أكبر المستشفيات و أحسنها على مستوى الوطن و الدليل على ذلك وجود أطباء صينيين به كما ذكر حيث كره الأيام التي قضاها بين جدران تلك الغرفة الطبية وحيدا و الخوف الذي اعتراه آنذاك حيث يقول :

(بعد أن أجريت لي عملية جراحية عشت وحيدا بركن غرفة غارقا في أحلامي المفزعة...).

ثم يعقب ( ... ليس فقط لمكوئي شهور متتالية كلها ضجر في تلك الغرفة الضيقة، بل من جلبة الأصوات المنبعثة من حظيرة لتوقف السيارات و الشاحنات... مما زاد في ضغط التوتر العصبي... )<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> : عبد الحميد مغيش، الرواية نفسها، ص 9.

<sup>2</sup> : عبد الحميد مغيش ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شويان ، الرويبة ، الجزائر، 2018 ، ص9.

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

وربما ما جعل الكاتب يتذكر ذلك المكان كذلك الأخبار التي سمعها و هو في المستشفى كموت عمته ((السعدية))، أو مرض أمه أو تذكره لبعض الأساتذة الذين درس عندهم ينتمون إلى تلك المنطقة ((سيدي عيسى)) وكذا الحال مع بعض المقاهي التي كان يجلس بها من وقت لآخر حيث يعود بنا إلى إحداها في قوله :

(بعد حين شربنا ما وجدنا في اقرب مقهى من الحي ، شربنا نقيع رعي الحمام ، بالمناسبة قرأت على اللعبة التي أخذ منها كسيا صغيرا “جنس نباتات برية من فصيلة السباحيات عديدة الألوان و عطرية)<sup>1</sup>.  
ثم يرحل بنا الكاتب عبر ذاكرته إلى مكان آخر و هو ((المقبرة )) حيث يقول :  
( ذات يوم حملت في محفظتي غصن زيتون أخضر ، و ذهبت به إلى المقبرة القريبة من مقر البلدية حيث تنام شقيقتي الكبرى، قلت سأغرسه قرب قبرها ، الذي حفر عشية عيد الأضحى ، و أنزلت فيه قبل أن أصل من العاصمة ...)<sup>2</sup>.

ليتجلى لنا مرة أخرى في هذه الرواية مدى ارتباط الذاكرة و تجليها كذلك حتى في الأموات فوصفه لزيارة (( المقبرة )) دليل على أنه يرسم لنا تماهي ذاكرته بالأموات كما الحال هو بالأحياء ، و لعل ما يؤكد ذلك أنه ذكر أن ثمانية قبور حفرت في شهر واحد من بينهم ثلاثة لعائلته ، و كذلك ما جاء على لسان " مسعود خربيط " فارس تلك القرية الذي صار مسنا ذو ذاكرة أكل منها تقدم العمر ما أكل ، حين سأله أحد الشباب عما إذا كان يذكر جاره المتوفى في (( وداكة )) تلك المقبرة في جانب من القرية السبخية التي بنيت عليها مباني، فأجاب بعد أن جال ببصره في الأرجاء :

( هناك كانت دار البعبوش و منازل إخوته ، و السعدية و ابنيها و معلم القرآن ، رحلوا جميعهم ، زالت الضغينة بينهم )<sup>3</sup>.

مرة أخرى تظهر لنا الذاكرة و تتجلى من خلال و تمتزج بالمكان حيث أن الشيخ عاد بذاكرته إلى تلك الأمكنة التي صارت بنيانا جديدا و صورة أخرى من صور تطور الحياة و إعمار تلك المنطقة و تحولها من منطقة ريفية إلى منطقة حضرية إلى ما كانت عليه و هو يذكر منازل من فارقوا الحياة، و بينها أين كانت تقع بالدقة و الترتيب أيضا .

<sup>1</sup> : الرواية، ص 8.

<sup>2</sup> : الرواية، ص 18.

<sup>3</sup> : الرواية، ص 49.

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

قدم الكاتب صورة أخرى من صور اقتران الذاكرة و المكان و تعلق الذاكرة بالمكان حيث أنه و على مر السنين و تقدم العمر بالشيخ إلا أنه بقي يتذكر من كان يعمر تلك المنطقة و يذكر مساكنهم بالترتيب هنا تظهر روعة استغلال الكاتب للذاكرة و طريقة توظيفها في أماكن عدة مختلفة.

نستطيع القول إذن :

( إن الذاكرة وما يتداعى من أعماقها ستمنح الكاتب لو أحسن توظيفها القدرة على بناء الرواية وابتداع الزخارف التي تغطي واجهتها المعمارية، والمستوحاة من التركيبة الجينية التي تختلط فيها مكونات الكاتب الفكرية والإنسانية وهمومه وقضاياه، لإغراء القارئ إلى طرق بابها حتى يعوم في تفاصيل الرواية فلا يخرج منها إلا وتحدهه الرغبة لإعادة اكتشاف ما فاتته منها، ومع التكرار ستتحول الرواية إلى صديق لا غنى عنه فيوفق الكاتب في إيصال رسالته إلى الناس.. وتتشكل دمجته على وعي القارئ.. فالذاكرة تعد فيما لو وظفت جيداً، أجمل ما في الرواية، والتخلص منها يحول الشخصيات إلى بياض، أو قوالب تلج يصنعها المؤلف بناءً على رغبات النقاد التي في بعضها ما يعبر عن أمراض نفسية هدامة نابغة من مرتب نقص.. لأن الناقد الحقيقي يتعامل مع النص ككائن حي له حقوقه فيتم التعامل معه بروح النظرية النقدية وليس بسيف الجلال!)<sup>1</sup>.

معنى هذا أن جمال الرواية يعتمد بشكل كلي على حسن استغلال الكاتب للذاكرة و تعتمد على ما يختزنه من معلومات، بالإضافة إلى همومه و قضاياه اليومية و طرحها في طرح يستطيع من خلاله أن يجذب الكاتب للرواية و يجعله يغوص في أعماقها و اكتشاف تفاصيلها الممتعة و ذلك من خلاله إعادة قراءتها مرات و مرات و بهذا يستطيع الكاتب أن يوصل إلى ذهن القارئ مراده و رسائله ، كما أن التخلي عن الذاكرة يفقد الشخصيات في الرواية أهميتها و يجعلها أمام سيل جارف من النقد الهدام الذي تتعرض له من طرف النقاد، لأن معظم النقاد يفتقدون للمهارات النقدية التي تجعلهم يتعاملون مع النص بالطرق النقدية الصحيحة .

مكان آخر استنفرت الذاكرة مجدداً في هذه الرواية و هو (( المطار )) . ذاك المطار الذي صار بتدني خدماته و بناءه القديم كأنه مهجور تماماً، و نظنه ((مطار عين الديس )) لأنه و ليومنا هذا لا يوجد بالمنطقة (( المسيلة )) مطارات غير هذا المطار الشبه مهجور حيث يقول الكاتب وهو يصف لحظة اجتياح الجنود لهذا المطار لحماية المواطنين المتواجدين داخله : (و سرعان ما احتد الموقف في المطار

<sup>1</sup> ينظر بكر السباتين، صحيفة المثقف ، قراءات نقدية (أدب ومسرح) ، العدد 5458 ، الصادر: الاحد 15 - 08 - 2021م، (مصدر سابق).

و أثيرت مشاعر من كان فيه حين شاهدنا موظف الشباك أسرع إلى فتح الباب في الطابق الأرضي ، حين دخل مسلحان قالا إنهما مكلفان بحماية المطار و من فيه ...<sup>1</sup>

منظر المواطنين المنتظرين في ذلك المطار و حالات المرض التي كان يعاني أغلبهم منها خاصة كبار السن و الأطفال الصغار و إسراع الطبيبة (( منال بنت القاضي )) إلى تقديم الإسعافات الأولية و الروح التي تحلت بها جعلت ذاكرة الكاتب تتعلق بالمكان و عباراته تسرد لنا الوقائع بالتفصيل مرتبة متسلسلة و في لحظة وقوعها لحظة لحظة، و هذا ما يعرف بالسرد حيث لم يغفل الكاتب أية لحظة و يبدع في وصف المكان و من كان فيه و في المقطع المذكور دليل واضح من خلال وصفه لحظة فتح الشباك للجنديين و دخولهما و إخبار من كان في المطار بأنهما مكلفان بحماية المطار و من فيه .

وما يلبث الكاتب إلى أن ينقلنا بذاكرته إلى مكانا آخر لا يقل أهمية عن الأماكن الأخرى وهو ((زاوية لعموري)) حيث قال :

( تذكر تفاصيل قريبه العائد من المهجر ، لكنه أصر على تغيير مساره نحو زاوية لعموري أين وجد منال بنت القاضي مغشى عليها ، و قيم الزاوية يحضر لها رقية ...)<sup>2</sup>

ثم يسترسل واصفا سقف الزاوية و ما تعلق بذاكرته من تفاصيل فيقول:

( رش الراقي بقطرات من الماء قدمي منال بنت القاضي، التي استسلمت لحظات صامتة مبحلقة في سقف دار الضياف، المشيد من جريد أسندته قطع خشب من صنوبر الغابة ...)<sup>3</sup>

هنا حتى و إن كان المكان وقوعه في الرواية كان وقوعا عرضيا فقط غير أنه ارتسم في ذاكرة الكاتب و نقش فيها ، و الدليل على ذلك أنه استطاع أنه يصوره لنا و أن يصفه وصفا دقيقا و ينقل جزئياته جزءا بجزء من خلال تصوير سقف دار الضياف الذي كان مشيد بالجريد ( سعف النحيل) الذي أسندته تلك الأخشاب العائدة إلى أشجار الصنوبر العائدة بدورها إلى الغابة ، و هذا ما يعرف بالوصف .

ولا بأس إن ذكر الكاتب بعض الأماكن على لسان الكثير من الشخصيات المتداولة في الرواية بغض النظر على أنها شخصيات ثانوية أو شخصيات رئيسية فقد ذكر أماكن عدة من منطقة المسيلة كالمعاويد - و هي حاليا دائرة بالشمال الشرقي لولاية المسيلة و التي كانت عاصمة للحماديين في مطلع القرن العاشر الميلادي قبل أن بجاية الناصرية - و كذا الحال بالنسبة لما يطلق عليها في الرواية باسم (( القرية

<sup>1</sup>: الرواية، ص 63.

<sup>2</sup>: الرواية، ص 71.

<sup>3</sup>: الرواية، ص 72.

الجبيلية)) و التي يقصد بها منطقة حمام الضلعة - و هي الآن دائرة مهمة من دوائرها تقع حوالي ثلاثين كيلو متر شمال ولاية المسيلة يقال أن بها الكثير من الآثار الوندالية و البيزنطية و الرومانية و الأمازيغية- ذكر العاصمة في كثير من رحلاته إليها بحكم عمله كصحفي و ذكر مدينة سور الغزلان و هي مدينة تابعة الآن لولاية البويرة التي لها حدود مع ولاية المسيلة و يغوص في الحديث في تاريخها و ينقلنا بذاكرته من حقبة إلى حقبة أخرى فيقول على لسان ذلك الرجل الأنيق:

( كان المعمرين الأوروبيين ينعمون بصيد أنواع نادرة من الطيور ، فضلا عن الغزلان التي حرموا السكان الأصليين من رؤيتها ، بأن شادوا بالحجارة المحلية المصقولة سورا عاليا وضعوا فوقه أسلاكا حادة ، و هكذا اتخذوا من البلدة الصغيرة التي اعتلت هضبة تحيط بها الغابات ، مدينه سميت بسور الغزلان ، ثم صارت حامية لجيشهم <sup>1</sup>).

هكذا يسافر بنا الكاتب من حقبة إلى حقبة أخرى بوصف ذلك المكان الجميل (( سور الغزلان)) فينقلنا إلى هذا المكان بذاكرته فقط و هو يصفه لنا وقت الاستعمار و كيف كان المعمرين ينعمون و يتنعمون بخيراته كصيد بعض الأنواع النادرة من الطيور و إقامة سورا حول تلك البلدة الغيرة لمنع سكانها الأصليين من رؤية الغزلان التي كانت تتواجد في المنطقة بكثرة ثم اتخذوا تلك المنطقة كحامية لجيشهم - شيدوا بها ثكنة عسكرية - و هي نقلة نوعية اعتمد الكاتب فيها على الذاكرة اعتمادا واضحا في وصف المنطقة و تاريخها ، و هذا دليل آخر على امتزاج الذاكرة و ارتباطها بالأماكن في هذه الرواية .  
تقول الكاتبة والروائية "رنا خالد" معبرة عن العودة بالذاكرة إلى الأماكن و الذكريات الجميلة حين سئلت عن علاقة المكان بالذاكرة :

(أقول إنهما يعنيان استرجاع مجموعة من الأحاسيس والانفعالات والمشاعر التي تتحكم بالإنسان ، وتكون بمجملها مرتبطة بالقلب والعواطف ، ولهذا تغنى الكثير من الشعراء والأدباء بذاكرة المكان ، فهناك رائحة للأحياء الشعبية وأخرى للأزقة وثالثة للصحراء ورابعة للمدن العتيقة ، وخامسة لحب تجذر في الضمير ، فما أن يكون المرء في أحد هذه الزوايا ، حتى يستحضر رائحتها وتبعث فيه أحاسيس وذاكرة المكان ويدرك مدى ارتباط ذاكرته بالمكان .. إنها توافق الحياة، مع ذاتها... لذلك يمكن وصف الحياة بأنها كتاب جميل، ملون، مخيف تختلف مقدمته عن خاتمته أكيد، وما بين الاثنين توجد حكايات وسطور مكتوبة تحوي مشاعر ممزوجة بين الفرح والألم، نمر بموقف معين يذكرنا بماضي نفتقده أو

<sup>1</sup> الرواية، ص78.

مكان يأخذنا الحنين إليه وحين ينام العقل ويهرب من الواقع ويعلو صوت الخيل والنسيج لأحلام يبدأ يتكون وتبتعد عن الحقيقة حتى يكبر الأمل! <sup>1</sup>.

ومعنى هذا أننا حين نعود بذاكرتنا إلى مكان معين فإننا نسترجع مجموعة من الأحاسيس و الانفعالات و المشاعر الموجودة أصلا فينا و تكون مرتبطة بالقلب و العقل و تكون في أغلب الأوقات حافظا لعواطفنا ، و كل مكان يحفز عندنا ذكريات مكان يشبهه ، فنعود أدرجنا عبر ذاكرتنا إلى تلك الأمكنة التي تذكرناها عند رؤيتنا للأمكنة المشابهة لها ، و نتذكرها بتفاصيلها و رائحتها و الوجوه التي رأيناها هناك ، ساعتها ندرك فعلا مدى ارتباط الذاكرة بالمكان، فهي كما عبرت عنها الكاتبة (توافق الحياة مع ذاتها) بغض الطرف عما تذكرنا أكان سعيدا أو حزينا، فالمهم أن الذاكرة تأخذنا لتلك الأمكنة بمجرد أننا ولجنا أمكنة أخرى تشبهها .

وربما ذهب الأمر بالبعض إلى أبعد من هذه النقطة ، فيعتبر المكان جميلا و مقدسا ، و يكون محببا إلى نفسه ، و يعتبره مثله مثل البشر له طبائع و أوضاع مختلفة ، بعكس بعض الأمكنة التي لا يحب تذكرها و يضرب مثلا هنا بالبحر: فهناك من يرى أنه مصدر هدوء و سعادة و استرخاء وتأمل، لأنه ما ألف إلا هذه الأفعال و الأحاسيس حين يجلس إلى شاطئ البحر على عكس بعضهم الذي يراه مصدر شؤم و نذير شر، و لا يحب أن يزوره أو يتذكره لمجرد أنه فقد عزيزا عليه في البحر ،سواء بالغرق و الموت أو تعدي البحر بالهجرة أو غير ذلك من الذكريات الأليمة التي تربطه بالبحر . لذا فالذاكرة عند نقلها لنا لمكان ما لا تتظر إلى ذلك المكان أ يكون مصدر سعادة بالنسبة لنا أو غير ذلك ؟.

في روايتنا تعود الذاكرة بكاتبنا إلى مكان آخر وهو منطقة من مناطق ولاية المسيلة هي منطقة ((سد القصب)) التي كان " بولخصايل " يملك بستانا بها و تعهد هناك شجرة يرعاها و يقوم على خدمتها حيث يقول : ( اغتبط معروف الصّغير وهو ابن الثامنة والعشرين ربيعا بما شاهد في سد القصب مع خاتمة 1994 بحيث استعجل أن ينهي أبوه الكلام و يقفز على ظهر راكبته متينة القوام :

سعدت برؤية شجرة نمت في الحقل مع طلوع كل نهار، واسترجعت فرحة ماضية حيث كنت أشاهد أبي في منتصف يوم الأربعاء عند مروره بالمسلك المؤدي من وسط البستان إلى الطريق نحو سفح الجبل العاري. وصار سد القصب اسما يطلق على المنطقة المحيطة به).<sup>2</sup>

<sup>1</sup> : ينظر: رنا خالد، تقارير و تحقيقات، الموقع الإلكتروني، [www.radionawa.com/wtar-detail.aspx](http://www.radionawa.com/wtar-detail.aspx).

<sup>2</sup> : ينظر: الرواية ، ص 95 .

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

من هنا يتضح ترسخ المكان في ذاكرة الكاتب ، وهو ما جاء على لسانه وهو يصف ذلك المكان مبينا العلاقة بين الذاكرة والمكان مرة أخرى ، تجلت في سعادته عند رؤية الشجرة التي نمت وسط الحقل لتعود به الذاكرة إلى الأيام الخوالي ، التي كان معروف يرى فيها أباه وهو يمر بالمسلك المؤدي من وسط البستان إلى سفح الجبل ، ليبيّن الكاتب بعد ذلك توسع الاسم (( السّد )) ليطلق على المنطقة المحيطة به أيضا .و((سد القصب )) هو سد للري الفلاحي ، بني في خمسينيات القرن العشرين في مرتفعات شمال مدينة المسيلة ، من أجل التموين بمياه الشرب وتعرض بعدها للظمي والتدهور ليخصص جزئيا للري الفلاحي .

في نهاية الرواية يعرج الكاتب على منطقة أخرى من بين مناطق ولاية ((المسيلة )) ذكرها باسم (( القرية الجبلية)) ، وهي منطقة (( حمام الضلعة )) حيث جال بفكره مصورا لنا عدة مناطق منها كمنطقة ((لقمان )) ومنطقة (( الحوران )) و ((الحي القديم )) وغيرها من الأماكن وما شهدته هذه المناطق على غرار مناطق أخرى من تطورات حضرية ونوعية في حقبة كانت من أصعب الحقب مرّت بها الجزائر وهي العشرية السوداء .

نخلص بالقول إلى أنّ الأماكن التي صوّرها الكاتب في روايته "الشجرة المباركة" ارتبطت ارتباطا وثيقا بذاكرته حيث صوّرها وقدمها لنا في قالب روائي لا يدل على غير ذلك ، فدقة التصوير واستعمال السرد والوصف والمحسنات البديعية والصور البيانية دليل قاطع على تماهي الذاكرة في المكان في رواية "الشجرة المباركة" .

### ثانيا- الذاكرة تشويشا للزمن (إعادة ترتيب للأفعال الروائية):

لابد لكل كاتب خاصة الروائيين منهم أن يصل أثناء سرده لأحداث معينة في الرواية إلى نقطة يعود فيها بالزمن إلى وقت آخر مضي ،أو يتخيل و يتوقع حدوث حدث في المستقبل أو يرسم مسار حدث وقع في الماضي و مزال مستمرا إلى هذا الوقت ،و قد يستمر إلى المستقبل و هنا تلعب الذاكرة دورا مهما خاصة في تذكر الأحداث و الأماكن و الأشخاص ،و ربما يمتد ذلك إلى تذكر المشاعر و الأحاسيس أيضا التي تعم الأجواء و تنتاب الأنفس أثناء ذاك الزمن و بذلك ينقلنا الكاتب من وقت لوقت آخر مغاير تماما فأثناء الرحلة من المنزل إلى مكان العمل مثلا و أنت في الطريق تتذكر أنك البارحة كنت في حديقة عامة تنتزه ،و أنه كان يوم عطلة ، فنتنقل بذاكرة من زمن إلى زمن آخر مضي .

وكذا الحال بالنسبة لتخيلك حين وصولك إلى مكان عملك، و الجلوس إلى مكتبك ،و القيام ببعض أعمال هذا اليوم و أنت مازلت لم تصل إلى مكان عملك ،هذا انتقال بالذاكرة أيضا من وقت إلى وقت آخر

و هو المستقبل ،ثم تتذكر أول يوم بدأت العمل فيه في هذه الشركة و المدة التي عملتها ، و انه سيتم ترقيتك الشهر القادم ، كلها أحداث تطلبت تدخل الذاكرة للعودة إلى الزمن الماضي، أو التقدم و المضي بالزمن في المستقبل، و هذا ما يجعل الكاتب لا يسترسل في كتابة أحداث الرواية في زمن متسلسل و هذا ما يجعلنا نقول أن : الذاكرة تشويش للزمن .

فعلاقة الزمن بالذاكرة في الرواية علاقة الجسد بالروح، و لا يمكن الفصل بينهما أبدا و لذا فلا يمكننا بدا أن نمر في دراستنا هذه إلى هذا التشويش و هذه العلاقة دون التطرق إلى معنى الزمن الروائي .

### 1- مفهوم الزمن الروائي :

الزمن هو عنصر أساسي في بناء الرواية مثله مثل الشخصيات والمكان وغيرها من العناصر المكونة لها. واعتبر " آلان روب جريبه" الزمن الروائي هو(الزمن الحاضر لقراءة الرواية، حيث يذهب إلى اعتبار الزمن الروائي هو المدة الزمنية التي تستغرقها عملية قراءة الرواية؛ لأن زمن الرواية من وجهة نظره ينتهي بمجرد الانتهاء من القراءة لذلك هو لا يلتفت لزمن الأحداث وعلاقتها بالواقع . تأثر مفهوم "جريبه" بالمفهوم السينمائي، إذ ينكر أي تماثل أو انعكاس للزمن الواقعي)<sup>1</sup> فالرواية تعتمد زمنا واحدا هو الزمن الحاضر.

أما "ميشال بوتور" فيقسم الزمن الروائي إلى ثلاثة أزمنة هي:(زمن المغامرة، زمن الكتابة، زمن القراءة، وكثيرا ما ينعكس زمن المغامرة، بواسطة الكاتب .ونحن نفترض عادة تقدمها في السرعة بين هذه الأزمنة المختلفة : وهكذا يقدم لنا الكاتب خلاصة نقرأها بدقيقتين - وربما تكون كتابتها قد استغرقت ساعتين- خلاصة لقصة قد يكون شخص ما قد أمضى يومين للقيام بها، أو خلاصة لحوادث تمتد على مدى سنتين)<sup>2</sup>.

وبمفهوم أبسط نقول أن الزمن الروائي هو الزمن الأدبي كما أنه الزمن الإنساني ، حيث يشكل الجانب الخفي ، أو التجربة الإبداعية الشعورية ، فيترأى بذلك معنى الحياة الإنسانية في جوهرها العميق الذي يعبر عنها بواسطة اللغة، فمرور ستين دقيقة مثلا على إحساس العاشق، تختلف عن مرورها عند المسجون المقيم في زنزانه مظلمة، ومن هذا يتبين لنا بأن الزمن هو عنصر تشويق القارئ واستمراره في

<sup>1</sup> : البنية الزمنية في رواية السقوط في الشمس لسناء شعلان ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ،إعداد الطالبين طيب شريف عادل وعمور إبراهيم جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، 2018-2019 ،ص15.

<sup>2</sup> : المرجع نفسه، ص 16.

الحركة الإبداعية عن طريق استعادة الماضي الجميل، و المستقبل البديل، و يربط ذاتية الإنسانية وإيقاف الزمن الروائي بالإبداع والكتابة لكي تمتد لحظة الإحساس وتغدو حينها أطول عمرا من زمن القراءة. ويرى " محمود المسعدي " أنه:

(لا يمكن أن نتصور شيئا موجودا لا يدوم وجوده أدنى لحظة زمنية، لأنه لا وجود إلا بزمان ولا تصور عقلي للوجود بدون ديمومة زمنية للأشخاص والجماعات على حد سواء، فمسيرنا وحياتنا مرتبطان وجوبا بالزمن الروائي).<sup>1</sup>

قد تكون الأحداث في الرواية سابقة أو لاحقة، حيث يتعرف القارئ على وقائع قبل حدوثها الطبيعي، ولا يكون هذا إلا من خلال زمن السرد الذي هو منشأه، إنه يقطع الزمن عن زمنيته فالزمن الروائي يكتسي أهمية خاصة من خلال مرحلة يعيشها البطل ، وخلفية عاشها لأحداث سجلت في تاريخ ما، وبهذا يتشكل العمل الروائي وعناصره الأساسية التي يحملها خطاب الرواية ، وأحداث القصة المروية ، وسلوك شخصيات الرواية ، فيعبر عن هذا كله بواسطة الزمن الروائي.

ولقد أشار الأديب والناقد الأمريكي " هنري جيمس " إلى ( : صعوبة تناول عنصر الزمن الروائي ، وأهميته في بناء الرواية ، فيرى أن الجانب الذي يستدعي صعوبة أكبر قدر من عناية الروائي وكيفية تجسيد الإحساس بالديمومة ، وبالزوال بتراكم الزمن)<sup>2</sup>

### 2- طبيعة الزمن الروائي:

" إن في دراستنا لطبيعة الأدب من زاوية الزمن نعتمد على هذا التعريف فنسمي الأول زمن النفسي أو الزمن الداخلي، والثاني الزمن الطبيعي أو الزمن الخارجي، ولا شك أن هذين المفهومين يمثلان بعدي البناء الروائي في هيكله الزمن.

أما الأول فيمثل الخيوط التي تتسج منها لحمة النص، وأما الثاني فيمثل الخيوط (العريضة - السقالات - ) التي تبنى عليها الرواية"<sup>3</sup>

### 2-1- الزمن الداخلي (النفسي):

"إن زمن القصة المتخيل أو الزمن المحكي، يحتوي على ديمومة الحدث كعامل أساسي تمر عبره محطات الذاكرة، وقد يمتد في الرواية ليغطي فترة زمنية تعد بالساعات أو الأيام أو السنين أو القرون -

<sup>1</sup> : المصدر السابق ، ص 16.

<sup>2</sup> : البنية الزمنية في رواية السقوط في الشمس لسناء شعلان ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، إعداد الطالبيين طيب شريف عادل وعمور إبراهيم جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، 2018-2019 ، ص21

<sup>3</sup> : إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص166 و 167.

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

رواية الحقبة- وان كان بعض الروائيين لا يشيرون أبدا إلى التواريخ التي تجري فيها الأحداث، فإن بعضهم الآخر يشير إلى ذلك صراحة وبدقة.

ان القارئ المستهلك للنصوص الروائية الذي اكتسب ذائقة فنية عالية، يكون عادة قادرا على التمييز بين محطات الذاكرة في التعامل مع الزمن.

### 2-2 الزمن الخارجي ( الطبيعي): و ينقسم إلى قسمين :

- أزمن القراءة: هو مقدار الزمن- محددًا بالساعة -الذي يستغرقه القارئ في قراءة الرواية.

ب- زمن الكتابة: وهي عدد الساعات التي يستغرقها المؤلف في كتابة روايته<sup>1</sup>.

### 3- بناء الزمن الروائي :

وهو ما تقوم عليه دراستنا في إعادة ترتيب للأفعال في الرواية لأنه يتضمن نظام المفارقات ، أو ما يعرف نظام الزمن الذي بدوره يقوم على تقنيتين أساسيتين هما: الاسترجاع و الاستباق ، لنرى كيف أن الكاتب وظف هاتين التقنيتين مما جعل هناك نوعا من حركة الذاكرة في الزمن ، جيئة و ذهابا حيث نلمس بعض التشويش في هذا الزمن بفضل عمل الذاكرة.

### 4- نظام الزمن (المفارقات):

(الاسترجاع والاستباق أساس المفارقة الزمنية، وكل مفارقة تتسم بالمدى والاتساع حيث أن المدى هو المسافة الزمنية، التي تفصل بين لحظة توقف الحكي ولحظة بدأ المفارقة، أما الاتساع فهو المسافة الزمنية التي تستغرقها المفارقة).

إن الاسترجاع يروي لنا ما حدث في الماضي سواء كان ماض قريب أو بعيد، أي ما حدث قبل بدأ الرواية أو بعد بدئها، كما أن الاستباق يروي لنا ما سيحدث مستقبلا في الرواية أو يلمح لنا لبعض الأحداث التي ستقع فيما بعد، ويمكن لهذه الأحداث أن تقع وتتحقق بالفعل أو لا تقع وتكون مجرد توقعات وأوهام. إن هاتين التقنيتين الزمنيتين تلعبان دورا كبيرا في وضوح و تفصيل أحداث الرواية كما تزيد القارئ تشويقا لما سيقع وهذه المميزات تضيف على الرواية جماليات إبداعية وفنية تجذب القارئ.

### 4-1- الاسترجاع (Analepse):

هو سرد حدث في نقطة ما في الرواية بعد أن يتم سرد الأحداث اللاحقة على ذلك الحدث. كما يمكن تعريفه بأنه عملية سردية تتمثل في " إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد وتسمى كذلك هذه العملية- بالاستنكار<sup>1</sup> و له ثلاثة أشكال:

<sup>1</sup> : سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص 26 و 27.

- استرجاع خارجي: و هذا يعود إلى ما قبل بداية الرواية .
- استرجاع داخلي: يعود إلى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.
- استرجاع مزجي: و هو ما يجمع بين النوعين. هذه واحدة من التقنيات التي عملنا بها في هذا الجزء الذي من خلاله نحاول أن نعيد ترتيب الأفعال في الرواية.

**\* الاسترجاع في رواية الشجرة المباركة:**

لقد حفلت رواية " الشجرة المباركة " بالاسترجاع و استحضار الماضي، و لعنا لمسنا بعض أنواع الاسترجاع نأخذ منه على سبيل الذكر قول الكاتب:

( تذكرت دموع أمي و قد سهرت شتاءات طفولتي تسرد لي نوادر أولئك الأبطال الذين شقوا ظلمة الليل الدامي الطويل ، و تحدوا بشجاعة القلب جبروت العداة المجهزين بكل سلاح فتاك.)<sup>2</sup>

هذا استرجاع قبلي خارجي ،حاول الكاتب فيه العودة إلى ما قبل بداية الرواية، حيث تذكر أمه و هي تسرد له قصص و أحداث حول المجاهدين الذين كانوا ينتقلون ليلا من مكان لآخر متحديين بذلك العدو الذي كان يفوقهم عدة و عتادا. ثم يسترسل قائلا :

(مسحت دمعي بما قالته في قبيلولة صيف من عام 1995:

- كان خالك واحد من أولئك الذين هابهم الموت.

تأملت هذا بإمعان و إنا أعود بكياني كله إلى السؤال عن روح سي "عبد المجيد بولخصايل" و قد فاضت إلى علياء السماء عشية متأثرا بالجروح البليغة التي خلفها انفجار لغم يوم 20 أوت 2017)<sup>3</sup>.

الكاتب هنا يذكر تواريخ لأحداث مضت، و كانت مجرياتها قبل بداية كتابة الرواية لأن الرواية حسب تاريخ إصدارها كانت في 2018 مما يدل على أن الاسترجاع هو استرجاع قبلي خارجي أي أن أحداثه جرت قبل بداية الرواية حيث أنه يذكر أن أمه كانت تسرد تلك الأحداث في قبيلولة صيف من عام 1995 ،و كذا الحال عند تذكره لوفاة خاله "بولخصايل" في 20 أوت 2017 .

- إذا الحدثان جريا قبل بداية الرواية مما يدل على أن الاسترجاع هو قبلي خارجي.

<sup>1</sup> : أحمد حمد النعمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص22.

<sup>2</sup> : عبد الحميد مغيش ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شويان ، الرويبة ، الجزائر، 2018 ، ص 3.

<sup>3</sup> : عبد الحميد مغيش ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شويان ، الرويبة ، الجزائر، 2018، ص3

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

للتوضيح أكثر يمكننا القول انه يأتي الاسترجاع الخارجي على صورة تذكّر لأحداث سابقة للحدث الذي تبدأ به الرواية، وأدى إلى تذكّرها ظهور إشارة معينة في الحاضر تذكّر بها كوقوع حدث هو على النقيض من حدث وقع في الماضي، فيُذكر الحدث الماضي لبيان مدى المفارقة بين الحدثين.

ووظيفة الاسترجاع الخارجي إنارة ماضي الشخصية (... فالاسترجاعات الخارجية، لمجرد أنها خارجية، لا توشك في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأولى، لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه "السابقة" أو تلك<sup>1</sup>).

معنى ذلك أن الاسترجاعات الخارجية تكون غير داخلية مع أحداث الحكاية أو الرواية المقصودة لأن وظيفة هذه الاسترجاعات إكمال الحكاية الأولى التي نخوض فيها من خلال أنها تزودنا بالمعلومات حول سابقة من السوابق كما لمسناها في روايتنا هذه حول المعلومات المقدمة حول شخصية عبد المجيد بولخصايل حيث قرأ عنها الكاتب في جريدة ذلك اليوم الذي انفجر فيه اللغم الذي أدى بهذه الشخصية الى الوفاة حيث يقول :

( و قرأت في جريدة ذلك اليوم ما كتبه صحفي:

“ لم ينشأ عبد المجيد بولخصايل بين مدرجات الجامعة ، و لا بين كتب التاريخ و لا نوادي الأدب، بل تفتح خياله بين يدي والدته في بيت قروي بعيد عن البحر ... تحركت قدماه على أرض الثورة عند اكتمال رجولته في وجه الاستعمار، و قوى بأسه عند اشتعال فحولته وقت تكالب الإرهاب...“<sup>2</sup>

من خلال هذا الاسترجاع أراد الكاتب أن يزودنا من خلاله بمعلومات حول شخصية عبد "المجيد بولخصايل" و إزاحة اللبس عنها غير أننا في دراستنا هذه نريد أن نبين أن كل الأحداث و الأفعال المذكورة في هذه الفقرة عدنا إليها من خلال الاسترجاع و هذه كما ذكرنا واحدة من تقنياتنا في إعادة ترتيب الأفعال في رواية الشجرة المباركة.

يقدم الكاتب في فقرة أخرى وجها آخر للاسترجاع فيقول : ( قيل عند وفاته تنافست قبائل المنطقتين على دفنه بين ظهرانيتها ، و كان أن حفر له قبران : احدهما في التل ، و الثاني عربي الحضنة في بلدة تحمل إلى اليوم اسمه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> : جبرار جنيت، خطاب الحكاية ، ص 61.

<sup>2</sup> : الرواية، ص3.

<sup>3</sup> : الرواية، ص 13.

يسرد الكاتب هذا الخبر، معتمدا على تقنية الاسترجاع، و هو يحكي عن الولي الصالح ((سيدي عيسى)) و كيف اتخذت البلدة اسمها ذلك من اسم هذا الولي الصالح، بينما اعتمد تقنية الاسترجاع وظف فعلي و بناهما للمجهول لأن من قام بهاذين الفعلين ( قِيلَ، حُفِرَ) ليس معروفا على وجه التحديد ليرتب لنا الأحداث و يتسنى لنا التعرف على هذا الولي الصالح و هذه المنطقة، و قد كان الاسترجاع هنا استرجاع خارجي لأن الأحداث وقعت قبل بداية الرواية.

نموذجا آخرًا عن الاسترجاع الخارجي نلاحظه في المقطع الرابع للرواية في قول الكاتب:

(انه كان يركب المخاطر ويسافر إلى أرجاء الصحراء لجلب أصناف من الجواهر).<sup>1</sup>

يخبرنا الكاتب عن التاجر كبير الموالين، الذي كان يسافر إلى أرجاء الصحراء متحديا و مواجهها كل الأخطار التي قد تلاقيه في سبيل جلب أصناف من الجواهر. وقد عمد الكاتب إلى تقنية الاسترجاع بعد أن توقف عن سرد الأحداث -أحداث الرواية- ليعود بنا إلى هذا التاجر الذي ظهر في المقطع الثالث، و يعرفنا به و بتجارته و الأهوال و المخاطر التي كان يوجهها، وهو استرجاع خارجي قبلي.

#### **4-2 الاستباق (Prolepse) :**

يلجأ الكاتب إلى الاستباق من أجل خلق حالة انتظار لدى المتلقي، الأمر الذي يصنع بدوره عنصر التشويق أحيانا ( إلا أن تحققه لا حقا غير إلزامي في شيء، فهو لا يحمل أي ضمان بالوفاء، لأن ما تطرحه أو ما تبيت عليه الشخصيات من تطلعات يمكن أن يصيب أو يخيب، ولاسيما حين يقصد الراوي التضليل تمويها لخطة السرد، مما يوجد نوعا من الاستباق الكاذب الذي يطلق عليه الناقد " جيران جينيت" تسمية الفواتح الخادع)<sup>2</sup>.

لكن في بداية الأمر السؤال الذي يمكن أن نطرحه ما هو الاستباق؟

الاستباق كما يعرفه أحمد حمدي النعيمي هو: (سرد حدث في نقطة ما قبل أن تتم الإشارة إلى

الأحداث السابقة، بحيث يقوم ذلك السرد برحلة في مستقبل الرواية)<sup>3</sup>.

أي أن الاستباق هو تمهيد و إشارة لحدث ما سيقع مستقبلا في الرواية، حيث أن هذا الحدث هو

من سيرسم الطريق و يعبده لبعض الأحداث تقع قبل أن يقع هو بحد ذاته و يسمى أيضا بالاستشراف.

<sup>1</sup>: الرواية، ص 99.

<sup>2</sup>: عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح) البنية الزمانية و المكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، (د.ط، دار هومة، الجزائر، 2010، ص21.

<sup>3</sup>: أحمد النعيمي، ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص33.

**أنواع الاستباق:**

يمكن تقسيم الاستباق إلى ثلاث أنواع و هي :

**أ- استباق ممكن التحقيق:**

وفيه يكون الخيال واقعيًا، كما تكون أهداف الشخصية الروائية منسجمة مع الإمكانيات المتاحة لقدرات الإنسان الحالي أو لقدرات الشخصية نفسها، إذا كانت مجتهدة وعازمة على تحويل أحلامها إلى حقيقة واقعة.

**ب- استباق غير ممكن التحقيق:**

وفيه تسعى الشخصية إلى تحقيق ما يفوق قدراتها وقدرات المحيطين بها، ويرد مثل هذا الاستباق في الرواية لتشويق القارئ، وكسر توقعاته بعد إيهامه بأن الشخصية تكاد أن تصل إلى مبتغاها.

**ج- استباق خارق للمألوف و نواميس الكون:**

ويتمثل مثل هذا الاستباق في قصص الخيال العلمي التي تستطيع تدمير الأرض، أو مناطق متباينة في الفضاء...<sup>1</sup>

ويستعمل الاستباق من أجل وظيفتين أساسيتين هما:

- **الاستباق كتمهيد:** فالكاتب يستعمله كإشارات أو إحياءات يكشف عنها في البداية ليمهد لحدث سيقع لاحقًا.

- **الاستباق كفاتحة:** حيث يخبر الكاتب بشكل صريح عن سلسلة من الأحداث ستقع مستقبلاً.

**\* الاستباق في رواية الشجرة المباركة :**

الكاتب عبد الحميد مغيش لم يخرج عن المألوف في توظيف الاستباق في رواية الشجرة المباركة، فنجد في كثير من المواطن استعمل هذه التقنية أحيانًا كتمهيد، وذلك من خلال إعطاء إحياءات و إشارات يمهدها من خلالها لأحداث ستقع، وأحيانًا أخرى كفاتحة حيث صرح فيها بشكل مباشر عن الأحداث التي ستقع مستقبلاً.

نأخذ من بين المواطن التي جاء فيها الاستباق قول الكاتب:

(... ستسكن عمتي سعدية المقبرة النائبة، أين دفنت شقيقتي، سنوات قليلة بعد زواجها. تركت طفلين

وبنتا)<sup>1</sup>

<sup>1</sup>: الرواية، ص 40.

لجأ الكاتب في هذا القول إلى الاستباق ليحد لنا حدثا معيناً سيقع في المستقبل، و هو أن عمته سعدية ستدفن في تلك المقبرة البعيدة التي دفنت فيها شقيقته قبلها، و هو حدث أخبرنا به الكاتب بشكل صريح دون الاعتماد على الإشارات و الإيحاءات مما يجعل أن هذا الاستباق هو استباق ممكن التحقيق، و استعمله الكاتب كفاتحة.

ثم يسافر بنا الكاتب مرة أخرى ليحط بنا الرحال في محطة أخرى من محطات الاستباق حين جاء على لسان الطبيبة منال بنت القاضي الفصل في قضيتها لما استدعاها الوالي لقيامها بالتبليغ عن حالة المستشفى حين قال:

( تهالكت منال بنت القاضي على أريكة بمكتبها، قالت في نفسها:

ليكن هذا عذري أمام الوالي إن استدعاني...)<sup>2</sup>

إذا قرار الطبيبة فيما ستفعله كان بمثابة الاستباق في هذه الجملة، حيث أنها قررت الهروب إن استدعاها الوالي و عدم المثول إلى استدعائه، فهي بهذا القرار استبقت الأحداث و أعطت نظرة استشرافية للذي ستفعله إن استدعيت، مما يدل على أن الاستباق ممكن الحدوث، وقد استعمل الكاتب كلمة (إن استدعاني) كإشارة أو إيحاء، الأمر الذي يجعل الاستباق كتمهيد لما سيقع، ومن خلال هذا نستطيع القول أن الاستباق جاء استباق تمهيدي.

في محطة أخرى قال الكاتب:

( سيهزّب المجرمون حجارة المقالع و قطع غيار أجزاء المصنع، و يتعذر على أبنائنا تشيد كوخ للعيش تحت رحمته، و ربما تشرذوا فترة من الزمن في مواجهة الوباء و الجوع. سيكون صراعا بين الرجال و إحباط بين النساء، و ما لا يتصوره عقل من هرج و مرج).<sup>3</sup>

هذا القول جاء على لسان عجوز، بعد أن اجتاحت بعض العصابات مصنع الاسمنت، و قاموا بحرق جزء كبير منه، و كان هذا تصورها لما سيؤول إليه حالة أهل البلد، مما يدل على أن هذه التصورات كانت لما سيحدث في المستقبل و هذا يفسر نوعية الاستباق الذي ورد في هذه الفقرة، فهو استباق ممكن الحدوث بالنظر إلى ما سبق، فالأحداث التي وقعت تمهد للأحداث التي ستقع، لذا فالاستباق هنا هو استباق تمهيدي.

<sup>1</sup>: الرواية ، ص17.

<sup>2</sup>: الرواية ، ص50.

<sup>3</sup>: الرواية ص 123.

تتفاوت الأحداث و تتداخل في رواية الشجرة المباركة كما هو الحال في كل الروايات، الأمر الذي يجعل الكتاب يلجؤون إلى استعمال تقنيات الكتابة، مثل الاستباق و الاسترجاع هذا كله من أجل ترتيب و إعادة ترتيب أفعال الرواية حتى يكون الأسلوب سلساً مفهوماً عند المتلقي، بعيد عن التعقيد و غير مبهم، و من أجل إضافة عنصر التشويق، فطبيعة الزمن الروائي سواء أكان داخلياً أو خارجياً يحتم على الكاتب اللجوء إلى استعمال مثل هذه التقنيات حتى لا يصبح الزمن مشوشاً و الأفكار غير واضحة لأن عنصر الذاكرة بإمكانها استرجاع أحداث مضت و طبيعة الإنسان تفرض عليه تخيل المستقبل الأمر الذي يجعل من تشوش على زمن أحداث الرواية هو الأمر نفسه الذي دفع بنا إلى توضيح الكيفية التي من خلالها نستطيع من خلالها أن نعيد ترتيب الأفعال في الرواية.

### ثالثاً: تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية :

نريد من خلال هذا العنصر أن ننقل تعريفاً مبسطاً لمعنى الذاكرة الجمعية و الذاكرة الفردية ، و أن نستنتج العلاقة بينهما و نحاول رؤية هذه العلاقة في الرواية ، لنحدد كيف تتلاشى الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية عبر الأحداث و الأماكن باختلاف الأزمنة .

### 1- ماهية الذاكرة الجمعية:

خلال بحثنا هذا لم نتوصل إلى تعريف دقيق لماهية الذاكرة الجمعية غير أن (موريس هالباخس Maurice Halbwachs ) يرى\* (أن التكوين الاجتماعي منطوقاً دائماً على مقومات مادية ملحوظة تتمثل في أنماط السلوك والعادات والتقاليد التي يمارسها الناس يومياً في حياتهم الاعتيادية، ويمكن رصدها وملاحظتها على نحو مباشر، ومقومات غير مادية تحكم سير السلوك الإنساني وتؤثر فيه، ويطلق عليها تسمية «الذاكرة الجمعية» التي تنتقل عبر الأجيال بالتنشئة، ويتوارثها الأبناء، وتستقر بوعي الأفراد دون تغيير).<sup>1</sup>

\* : فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، ولد في ريمز Reims، وتوفي في باريس، درس الفلسفة في باريس على يد هنري برغسون [Bergson]، وتأثر به كثيراً، فقام بتدريسها في العديد من المدارس الثانوية قبل سفره إلى ألمانيا سنة 1904 للدراسة في جامعة غوتينغن [Göttingen]. عاد إلى فرنسا سنة 1905، وهناك التقى إميل دوركايم [Émile Durkheim] أبرز مؤسسي علم الاجتماع، وبدأ اهتمامه بعلم الاجتماع، فعمل محرراً في المجلة الاجتماعية Année Sociologique ومسؤولاً عن قسمي الاقتصاد والإحصاء، الأمر الذي دفعه إلى العودة إلى ألمانيا سنة 1909 لدراسة الاقتصاد والماركسية في برلين

<sup>1</sup> .: ينظر JEAN-CHRISTOPHE MARCEL, "Mauss et Halbwachs: vers la fondation d'une psychologie collective", Sociologie et sociétés, vol. 36, no 2, Automne 2004, p.07 (1920-1945).

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

معنى ذلك أن الذاكرة الجماعية تشمل أنماط الحياة و العادات و التقاليد و المقومات الغير المادية كالتراث تتوارثها الأجيال جيلا عن جيل.

من خلال كتابه " البنى الاجتماعية للذاكرة " نخلص إلى عدة أفكار تعد تقريبا تعريفات بسيطة أو صغيرة للذاكرة الجماعية ، و قد نستنتج منه ما يلي:

تعرف الذاكرة الجمعية بأنها الطريقة التي تتذكر بها الجماعات تاريخها. أي أننا نتعامل مع الذاكرة هنا لا بكونها فعلاً فردياً خاصاً ومستقلاً بنفسه، ولكن بكونها ظاهرة مجتمعية ذات بُعد جمعي تتأثر بالبيئات المجتمعية والعوامل السياسية المحيطة، والطرق التي يتم رسمها لسرد التاريخ ونقله وتغييره.

و كذلك نستنتج من خلاله أن الذاكرة الجماعية هي الجمع الرمزي لذاكرات الأفراد، وهي تأسيس لهوية المجتمع وضمان سيرورتها من جهة أخرى

نشير فقط إلى أن هناك فرق بين الذاكرة الجمعية و الذاكرة الجماعية : (إن الفرق الجوهرى بين مفهوم الذاكرة الجماعية ومفهوم الذاكرة الجمعية لدى هالبواكس يتجلى في كون الذاكرة الجماعية خاصة بجماعة وحيدة معينة داخل مجتمع ما. أما الذاكرة الجمعية فهي ذاكرة مشتركة بين مختلف الجماعات المكونة للمجتمع، وبعبارة أخرى الذاكرة الجمعية هي مجموع كل هاته الذاكرات الجماعية).<sup>1</sup>

أي أن الذاكرة الجماعية خاصة بمنطقة أو جهة أو قبيلة ما داخل مجتمع ما ، أما الذاكرة الجمعية فهي مشتركة بين مختلف الجهات و المناطق و الجماعات التي منها يتكون المجتمع ككل ، نفهم من هذا أن الذاكرة الجمعية هي أشمل من الذاكرة الجماعية ، لأنها الذاكرة الجمعية تشمل كل الجماعات التي تكون المجتمع ، كما يمكن اعتبار الذاكرة الجماعية جزء من الذاكرة الجمعية .

### 2- الذاكرة الفردية:

يتواصل كل فرد على حدة مع محيطه الحالي معتمداً على إحساسه وإدراكه ويتواصل مع مستقبله بالخيال، أما الطريقة التي يربط الإنسان من خلالها نفسه بماضيه هي الاعتماد على ذاكرته التي تحفظ كل ما قد مرّ به من معارف سابقة وتجارب خاصة وقدرته على استرجاعاً حين يحتاجها ليتكيف مع وضع

1: زهير سوكاح ، مفهوم الذاكرة الجمعية عند موريس هالبواكس ، مجلة المتمدن الالكترونية -العدد: 1755 - 2006 / 12 / 5

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

جديد يحتاج للتأقلم معه، فالذاكرة وظيفة نفسية تقوم على مبدأ إعادة تمثيل أو استحضار حالة شعورية ماضية، و قد كان محل الذاكرة إن كانت فردية أو جماعية في مجتمع ما محور نقاش تضارب فيه الفلاسفة و النقاد بوجهات نظر مختلفة و كان من الطبيعي انقسامهم إلى فئتين كل فئة تحاول البرهنة على وجهة رأيها بطريقة أو بأخرى .

إن حفظ الذكريات واسترجاعها عملية فردية مرتبطة بالسلامة النفسية والجسدية الفسيولوجية للفرد نفسه، فأى خلل عضوي جزئي لقشرة الدماغ ينتج عنه غياب للوعي أو الشعور يؤثر بالضرورة على الذاكرة، فيضعفها أو يصيبها بالعجز فلا تؤدي وظيفتها كما يُفترض، ويرى مؤيدو هذه النظرية أن الذاكرة كونها متأثرة بالجانب العضوي للفرد نفسه أنها ذات طبيعة فردية ويُعدون العامل الرئيسي لحفظ وتخزين الذكريات أو حتى تثبيتها يرجع إلى أجهزة الفرد العضوية الموجودة في الدماغ.

ويُستدل على هذا بأنه عندما يُصاب الإنسان بفقدان الذاكرة فإنه غالبًا ما تعود عليه الذاكرة بنفس الإصابة أو الصدمة، وهذا بحد ذاته دليل على مادية الذاكرة وحسيتها، والدماغ هو العضو المسؤول عن ترسيخ الذكريات وتثبيتها بالتركرار، ( فالذكريات تخزن أولًا في ذاكرتك ذات المدى القصير بسبب انتباهك وتركيزك لفترة قصيرة، والبيانات والمعلومات المخزنة في هذه الحالة تكون عرضة للنسيان، ومع تكرارك لهذه البيانات "المعلومات والخبرات"، تنتقل من مستودعها هذا وتُخزن في مكان آخر يُسمى الذاكرة ذات المدى الطويل. ذكرياتك طبعًا، تترك أثرًا على جهازك العصبي الأمر الذي يُساهم باسترجاعها عن طريق منبهات خارجية، "المنبهات الخارجية التي تحفز الذاكرة هي أفكارك"، أو التشابه مثل مرورك بموقف مشابه فتستعيد ذكرياتك أو حتى مصادفتك لشخص يشبه آخر تعرفه، أو التضاد، فالأشياء والأمور المتضادة ترتبط صورها في أذهاننا، المحفز الأخير للذاكرة يُدعى الاقتران، وهو عبارة عن اقتران الأحداث أو الذكريات بمكان أو زمان ما، فتسترجع عفويًا داخل أدمغتنا إذا ما أُعيد زمانها أو عبرنا بمكان حدوثها.)<sup>1</sup>

معنى هذا أن المواقف المتشابهة و الأماكن المتشابهة تعيد تحفيز ذاكرتنا ، فننتذكر حوادث مشابهة وقعت بنفس الطريقة أو طريقة مشابهة و كذلك بالنسبة للأمكنة المتشابهة فهي تعيد بث ذكريات الأحداث

<sup>1</sup>: ينظر daniel L. Schacter , Angela H. Gutchess , Elizabeth A. Kensinger (2009), Specificity of Memory: Implications for Individual and Collective Remembering, Cambridge: Cambridge University Press, Page 87-102.

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

التي وقعت في أماكن مشابهة لها، وتكون الطريقة عفوية أي أنها تحدث بصورة تلقائية ، و هذا ما يسميه علماء النفس بالاقتران.

ترى النظرية النفسية أن (الذاكرة صفة فردية ترتبط بشعور الفرد بذاته وحالته النفسية، وتقول بأنها عملية نفسية بحتة تركز على الشعور والإحساس وتخزينهما. وترى بأن الحالة العاطفية و الوجدانية تؤثر كثيرا على آلية تخزين الذكريات وحفظها، فالتجارب العاطفية والمعلومات المرتبطة بانفعالات أسهل للحفظ والاسترجاع، وتخزن بأذهاننا بكل تفاصيلها على عكس التجارب المجردة من المحتوى العاطفي، بالإضافة لهذا فإن اهتمامك ورغبتك تحدد إذا ما كانت هذا التفاصيل ستحفظ أم لا، فكل ما يتسق مع ميولك ورغباتك يسهل حفظه بالنسبة لك.)<sup>1</sup>

نستنتج أن الذاكرة الفردية مرتبطة بالذات و النفسية و باقي العواطف التي تؤثر تأثيرا كبيرا على آلية التخزين ، و التجارب العاطفية هي الأسرع في الاسترجاع لأنها تخزن بكل تفاصيلها عكس التجارب المجردة من المحتوى العاطفي ، كذلك كل ما يتسق مع رغباتنا و ميولنا يكون سهل الحفظ و التذكر بالنسبة لنا .

### 3- علاقة الذاكرة الفردية بالذاكرة الجمعية:

من كل ما سبق نستنتج أن العلاقة بين الذاكرة الفردية و الذاكرة الجماعية هي علاقة ترابطية تكاملية ، فالذاكرة الفردية أساسها كل تلك الأحداث و الأفعال التي تربط الفرد بماضيه من خلال محفزات معينة ( المكان و تشابه الأحداث و ممكن أيضا الزمان مثل الصباح الباكر مثلا أو المساء الممطر...) و ممكن لهذه الأحداث أن لا تقتصر على فرد معين ليتذكرها بل تكون هناك جماعة( فريق لكرة القدم، جماعة جنود...) في نفس المكان أو الزمان فيتذكرون معا تلك الأحداث التي وقعت قبل سنين أو أحقاب من الزمن أو حتى أنهم يتذكرون أحداث مشابهة لتلك الأحداث لم يعيشوها حتى بل رويت لهم فقط.

من هنا يمكننا القول أن علاقة الذاكرة الفردية بالذاكرة الجمعية هي علاقة ترابط و تكامل.

<sup>1</sup> : 104 p, daniel. L. schater ، نفس المصدر السابق.

**4- تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية - تطبيقات على النص:**

المقصود بتلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية هو مدى تمحور الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية - أي مواطن تجلي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية- و ذلك كما ذكرنا آنفا فالسبب يعود إلى عيش الجماعات في بيئة واحدة و مرورهم بنفس الأحداث و نفس الأزمات و التطورات في وقت كانوا فيه جنباً إلى جنب، أي أنهم كانوا يعيشون في حقبة واحدة و بيئة واحد ، وبذلك فالتاريخ سجل لهم مآسي واحدة أو تطورات واحدة و منه فذاكرة الفرد الواحد منهم تعبر عن ذاكرة الجماعة الواحدة و هو ما لاحظناه في بعض مواطن روايتنا .

محطة من محطات تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية لاحظناها في بداية الرواية حين يقول:  
( تذكرت دموع أمي و قد سهرت شتاءات طويلة تسرد لي نوادر أولئك الأبطال الذين شقوا ظلمة الليل الدامي الطويل ، و تحدوا بشجاعة القلب جبروت الغداة المجهزين بكل سلاح فتاك )<sup>1</sup>.

يسافر بنا الكاتب عبر ذاكرته إلى صورة أولئك المجتهدين الأبطال الذين كانوا يشقون ظلمة الليالي العاتمات ، من أجل الوصول إلى مبتغاهم و هو تحرير الوطن من أيدي الاستعمار الغاشم ، أولئك الذين الشجعان الذين كانوا لا يملكون سوى أسلحة بسيطة يواجهون بها عدو مدجج بأسلحة فتاكة يفوقهم عدة و عتادا .

كل هذا نقله لنا الكاتب على لسان أمه التي كانت تسرد له حكايات المجاهدين الأبطال و لعل خاله كان واحدا منهم، و تغوص بنا الأحداث في أعماق التاريخ حث كان المجاهدون يتصدون للغزاة ، أي ان الذاكرة الجماعية للاستعمار الفرنسي و المجاهدين جاءت على لسان أم الكاتب، الأمر الذي يستدعي تلاشي الذاكرة الجماعية في الذاكرة الفردية ، و هو بطبيعة الحال نوع من أنواع التفويض للذاكرة التاريخية التي لا تتفك تذكر على لسان الأفراد ، غير أن هناك تمييز واضح بين الذاكرة و التاريخ و التاريخ في نظر ((هالبفاكس)) حيث يقول :

(أن الذاكرة الجمعية تتميز من التاريخ بخاصيتين أساسيتين هما الاستمرارية والتنوع. فهي بحسب تعبيره "تيار أفكار مستمر..." استمرارية الشيء مصطنعا فيها: إنها لا تحتفظ من الماضي إلا بما هو حي أو قادر على البقاء حي عند الجماعة التي تحمله).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> : عبد الحميد مغيش ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شويان ، الرويبة ، الجزائر، 2018 2018، ص 3.

## الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة

و معنى هذا، أن ما يفرق الذاكرة الجمعية عن التاريخ هو أن الذاكرة تتميز بالاستمرارية، أي أنها ممتدة من جيل إلى جيل ربما مشافهة بالإضافة إلى تنوعها في شتى المجالات ،عكس التاريخ الذي ربما يحرف أو يهمل المؤرخون بعضا لزواياه .هنا نلمس في الذاكرة الجمعية جانبا من جوانب الأدب الشعبي و ما يتميز به من النقل مشافهة و الاستمرارية و التنوع و الثراء .

لما كان كاتبنا في المطار وانتبه لوقوع علب تبغ للمضغ الذي كان والده يتناوله على غرار باقي الفلاحين ثم ما لبث إلى أن صار مورد رزقه في سنوات عمره الأخيرة ، تذكر قصة أخرى للتبغ و هي أن خاله حكى عن تناوله للتبغ في مرحلة ما من حياته حيث قال الكاتب:

( تذكرت في الحال سي عبد المجيد بولخصايل و ذكرت من كان في المكان بما حكى لي يوما من أن مجاهدي الثورة التحريرية الجزائرية منعهم قيادتهم من تناول التبغ بشتى أشكاله ، و هددتهم بإنزال عقوبات قاسية في حال مخالفتهم الأمر).<sup>2</sup>

عاد بنا الكاتب إلى ذاكرة جمعية مرة أخرى من خلال رسمه لقيادة الثورة التحريرية و منعهم للمجاهدين من تناول و استعمال التبغ بأنواعه المختلفة ، و قد أدى بهم الأمر إلى إنزال عقوبات صارمة في حق من يتناوله و اعتبرته مخالفا لقوانينهم ، ولم تكن هذه الحالة مقتصرة على منطقة دون أخرى إبان الثورة التحريرية ، فنكشف من خلال هذا أن الذاكرة لم تقتصر على فرد معين من الجماعات المجاهدة إنما كانت معممة على جميع أفراد قوات جيش التحرير ،وقد ذكرها الكاتب بنفسه في تلك اللحظة، الأمر الذي يستدعي تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية مرة أخرى.

يضيف الكاتب نقلة نوعية أخرى حين أضاف إلى تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية فكرة تماهي الذاكرة في المكان حين سرد تاريخ مدينة " سور الغزلان " حيث يقول : ( كانت مدينة سور الغزلان منذ أن بناها إبراهيم مختاري ماثرة لخيال الأدباء و الفنانين - و ما تزال الى يومنا كذلك - ...كما تردد عليها المولعون بالتاريخ لتقصي ما لم يذكره المؤرخون عن بطولات القادة الرومان ، و الأمازيغ يوغرطة،

<sup>1</sup> ينظر: زهير سوكاح، مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس، ترجمة نسرين الزهر ، بيت المواطن للنشر و التوزيع 2016 دمشق/بيروت ، ص 178.

<sup>2</sup>: الرواية، ص61.

و ماسينيسا، و جهاد المسلمين الفاتحين في القديم، ثم كفاح العلماء من أجل تحرير وطنهم، من طراز المقراني، و بعده جيل من الشهداء)<sup>1</sup>

جاء هذا على لسان ذاك الرجل الأنيق الذي رافق الكاتب في إحدى رحلاته إلى العاصمة ، عندما مروا بمدينة سور الغزلان ، فراح يذكر له تاريخ هذه المدينة و يصفها له منذ تأسيسها و نشأتها إلى غاية تحررها و انفلاتها من قبضة الاستعمار و لعل بهذا الوصف يجد القارئ يغوص في أعماق ذاكرة جمعية لسكان تلك المنطقة الذين لا يساورنا شك أنهم يعرفون تاريخ تلك المنطقة و نشأتها، فاختصرها لنا الكاتب على لسان مرافقه الذي ما لبث يبعث بذاكرة تلك المدينة و سكانها بصورة فردية، تجلت لنا من خلال هذه الصورة تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية .

و لعل " هالبفاكس " لم يغفل فضل المكان في الذاكرة الجمعية إذ يقول:

أن الجماعة مرتبطة بمكانها الخاص بها؛ فلا ذاكرة جمعية -خارج إطار مكاني- (ص 165). لهذا يرى - ولو على نحو غير دقيق - أن الذكريات التي تهتم الجماعات الأخرى لا يمكنها أن تلج في فضاء آخر مسكون بذاكرات أخرى)<sup>2</sup>

نستنتج من هذا أن لكل جماعات ذكريات خاصة بهم في حقل مكاني معين ،ولا يمكن لجماعات خارج هذا الحقل أن تكون لها نفس الذكريات التي يتميز بها أولئك الذين ينمون إلى ذاك المكان نفسه. لذا فإننا نراه يشدد في النهاية على العلاقة بين الذاكرة الجمعية و المكان إذ يقول:

( أن الذاكرة ذاتها تستند إلى استمرارية الفضاء المكاني الذي تتموضع فيه، أو على الأقل إلى "استمرارية الجماعة في سلوكها " تجاه مكانها أو أمكنتها.)<sup>3</sup>

ففي الذاكرة الجمعية يجب أن يبقى المكان الذي تعود إليه هذه الذاكرة على حاله أو على الأقل أن تستمر الجماعات في سلوكها - العادات و التقاليد - التي تربطها بذا المكان أو تلك الأمكنة حتى تضمن هذه الجماعات عدم خروجها عن ذاكرتها الجمعية.

<sup>1</sup>: ينظر: الرواية، ص 79 .

<sup>2</sup>: زهير سوكاح، مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس، ترجمة نسرين الزهر ، بيت المواطن للنشر و التوزيع 2016 دمشق/بيروت ص179

<sup>3</sup>: المرجع نفسه، ص17.

و المتتبع لهذا الجزء يرى أن كل الأفعال الموظفة فيه هي أفعال ماضية تدل على التذكر و الرجوع إلى الماضي مثل ( كان ، روى ، تذكر ، ..... ) لأن هذه الأفعال تدل على أن الكاتب إما يسترجع ذكريات أو يحكي و يسرد أحداث وقعت في الماضي مازال يذكرها أو يسمع عنها من مجتمعه ، رسمها لنا على لسانه و هذا ما دل على تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية .

بالرجوع إلى المجتمع و الجماعات التي تكون هذا المجتمع نجد كثيرا من الأحداث تتلاشى و تضمحل و تتحول من الإطار الجماعي إلى الإطار الفردي، فالكاتب هنا عاد بنا إلى أحداث يذكرها مجتمعه و يتذكرها على مر السنون، صاعها هو لنا بطرق مختلفة ليبرز لنا أنه فرد من تلك الجماعة التي لها ذاكرة جمعية قدمها لنا هو بشكل فردي و بطريقة خاصة بينت على أن الذاكرة الجمعية تتلاشى فعلا في الذاكرة الفردية .

من خلال الفصل الأول لهذه الدراسة أردنا أن نوضح ثلاثة عناصر مهمة في الرواية، بدأنا بتماهي الذاكرة في المكان ثم مررنا بعصر آخر مهم هو مدى تشويش الذاكرة للزمن، و الذي فيه أعدا ترتيب أفعال الرواية وصولا إلى العنصر الثالث و هو تلاشي الذاكرة الفردية في الذاكرة الجمعية .

فقد لاحظنا مدى ارتباط الذاكرة بالمكان، و التي أبدع الكاتب في ربطها بأماكن عدة بدأت بمسقط رأسه ((ولاية المسيلة)) ليتنقل بنا عبر ذاكرته إلى أماكن عدة أخرى أين زاول دراسته، أو مكان عمله، أو جاءت هذه الأماكن كأوصاف على ألسن شخصيات أخرى وظفها الكاتب في روايته تحكي أسرار تلك الأماكن، و الذكريات التي بقيت عالقة في ذهن الكاتب أو في ذهن تلك الشخصيات التي وظفها في روايته.

كما لاحظنا في العنصر الثاني علاقة الذاكرة بالزمن، حيث تعود الذاكرة بالكاتب إلى أزمان مختلفة رسمت أحداث كثيرة بصمتها في ذاكرته أو أحداث توقع أنها ستحصل لاحقا؛ الأمر الذي حتم علينا استعمال تقنيتي الاسترجاع و الاستباق من أجل إعادة ترتيب أحداث الرواية، و اعتبرنا أن الذاكرة هي المسؤولة عن تشويش الزمن في الرواية، و قد كان أمر استعمال الكاتب لهذا التشويش بهدف إضافة عنصر التشويق و جلب انتباه القارئ أكثر .

أما في الأخير فوجدنا أن الذاكرة الجمعية تتلاشى في الذاكرة الفردية، انطلاقا من أن الفرد جزء من الجماعة، و التي تكون قد مرت بنفس الظروف؛ الأمر الذي يجعل تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية أمرا ليس فقط وارد الحدوث بل هو أمر منطقي بالنظر إلى الزمن و تفرق أعضاء الجماعة الواحدة

## **الفصل الأول:.....الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة**

---

أو المجتمع الواحد، لأن كل فرد يصبح يحمل في ذاكرته ذكرياته مع جماعته في غربته ربما، أو بعد موت أعضاء تلك الجماعة .

## الفصل الثاني

### النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

1- ثقافة الذات بعث أم هدم للمكان؟

2- تلاشي الذات المثقفة في :

- الأحياء

- الأموات

- الأشياء .

3- ذاكرة المكان رصيد للذات المثقفة.

"إن الثقة في الذات تصنع الأبله.."

ولكن الإيمان بالذات يصنع الإنسان العظيم"

**فيكتور هوغو – Victor Hugo**

تمهيد:

يبحث النّقد الثقافي داخل النصوص الأدبية عن أهم مناطق "الأنساق الثقافية" ، خاصة المضمرة والمتوارية من وراء البناء الجمالي لهذه النصوص ومنه تتجلى مهمة هذا النشاط النقدي أساسا في الكشف عنها، ثم تأويلها واستحضار السياق الذي أنتجها..

غالبا ما يستخدم في النقد الثقافي تعبير "الأنساق الثقافية" كما يقول "عبد الله الغدامي\*" للدلالة على أنها: (قوانين و تشريعات أرضية من صنع الإنسان، في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان، وضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة وهي تعبر عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة، والأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة...)<sup>1</sup>.

الأنساق الثقافية هي ذات طابع حركي والتحول داخل حياة المجتمعات، كما أنها تختلف الأنساق باختلاف المجتمعات، وهو ما يجعلها تسهم في بناء الحياة الاجتماعية، فبعد انتشارها تأخذ وظيفة القوانين والتشريعات التي تقوم بتنظيم هذه الحياة، وتتحكم في سلوكيات الأفراد. فما هي الأنساق ؟ و ما مرجعياتها؟

### 1- النسق ذو الطابع التعددي :

الأنساق الثقافية مجموعة من الأنظمة منها الظاهر و الكامن في أية ثقافة من الثقافات و تتنوع بتعدد الثقافات و الخطابات ،فمن أنواع النسق نجد:

### 1-1 النسق الثقافي:

هو تنظيم صورة واضحة للعلاقات الاجتماعية لمجموعة من الذوات فيما بينها داخل منطقة معينة بكل جوانبها و خصائصها أي ضمن ثقافة محددة.

<sup>1</sup>- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 2005

\* عبد الله بن محمد بن عبد الله الغدامي من مواليد عام 1946 في عنيزة. أكاديمي وناقد أدبي وثقافي سعودي، وأستاذ النقد والنظرية في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بجامعة الملك سعود بالرياض، كنيته أبو غادة، ويُفضّل مناداته بها على لقب "دكتور".

من اهم اعماله: الخطيئة و التفكير، تشريح النص، الموقف من الحداثة، ثقافة الأسئلة....

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

و يتمثل ذلك في (أنساق الأفكار و المعتقدات أنساق الرموز التعبيرية، أنساق التوجيه القومي).<sup>1</sup>

النسق الثقافي له روافد عديدة، منها: أنساق الأفكار و المعتقدات (قضية الوجود)، وأنساق الرموز التعبيرية (تشمل اللغة، الفن، التعلم و الاكتساب)، وأنساق التوجه القومي (مرتبطة بالتراث الجمعي)، وهذه الأنساق هي وحدات أو أنساق فرعية تحقق وحدة النسق الثقافي الذي يعدّ بدوره أحد الأنساق العامة للفعل.

كما نشير في هذا السياق، إلى العالقة الوثيقة بين النسق الثقافي، و النسق الاجتماعي؛ وكأنهما وجهان لعملة واحدة. ويعرف النسق الاجتماعي، بأنه منظومة من الأفعال والتفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلات متبادلة.

### 1-2 النسق الاجتماعي:

يعد النسق الاجتماعي الكل المركب لمكتسبات للذات بصفتها اللبنة الأولى في المجتمع وذلك باختلاف العادات و التقاليد و الفن و الأعراف و الأخلاق..

و هو جمعٌ من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم و يحدد كل مجتمع بلغته، رموزه، و المكان المشترك.

يعد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز\* من تطرق لهذا العلم يقول: "نظام ينطوي على أفراد فاعلين تحدد علاقاتهم بمواقفهم و أدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة و المقررة ثقافياً".<sup>2</sup>

يتقاطع أو يشترك عند الكثير من الدراسيين مفهوم النسق الاجتماعي مع مفهوم النسق الثقافي، خاصة إذا تضمن الأول مكونات: اللغة والدين والفن والأخلاق...

و منه فإن النسق الاجتماعي مفهوم شاسع الاستعمال و يبين مجموعة من الذوات وظيفياً و يركز على المكان الاجتماعي بصفة خاصة.

### 1-3 النسق الفلسفي:

هذا النوع من النسق يعتمد على أفكار و آراء الذوات الفاعلة في النص الروائي بكل ما تطرحه في مناقشة موضوع ما من توافق أو تناقض أي يستخدم فيه اللغة كعنصر أساسي .

<sup>1</sup> - محمد عبد المعبود مرسي: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل و النسق الاجتماعي (دراسة تحليلية نقدية)، كلية القصيم بريدة، السعودية، ط1، 2001، ص92

<sup>2</sup> - ادith كرينزول: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993، ص411.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

لا يبتعد النسق الفلسفي في معناه عن النسق لغة فهو "مجموعة الأفكار العلمية و الفلسفية المتآزرة و المترابطة يدعم بعضها بعضا مؤلفة لنظام عضوي متين ,مثل قولنا "نسق أرسطو و نسق نيوتن و نسق هيجل و ما إلى ذلك ...فهو غاية كل تأمل فلسفي و كل الفلسفات الكبرى إنما هي انساق فلسفية".<sup>1</sup>

وخصائص النسق الفلسفي هي :- الكلية- الترابط و الانسجام.- خصوصية الجهاز المفاهيمي .

إذن يمكن القول أنه نسق يعتمد اللغة والأفكار لمناقشة الآراء سواء كانت من فلاسفة أو ذوات فاعلة في النص الروائي، فتقوم بالغوص و التعمق في رأي ما أو موضوع ما إما بالتوافق في الآراء أو بالنقض فيه و يشترط فيه الين لتكتمته و الخروج بنتائج مفيدة.

### 1-4- النسق الإيديولوجي:

هل يوجد نص لم يكن ضمن الحقل الإيديولوجي؟ بما أنه نسق نجده دائما ضمن كل النصوص الأدبية والسياسية والثقافية والتاريخية والفكرية، فطبعاً لا يوجد نص دون نسق فكري يرمي إليه، مفهوم النسق باعتباره منظومة من العناصر و بنية مترابطة خاصيتها الانسجام يقول الفيلسوف " لوي التوسير\*": ( أنها نسق (له منطق و دقته الخاصيتين) من التماثلات (من صور و أساطير و أفكار و تصورات) ..داخل مجتمع ما بوجود و دور تاريخيين)<sup>2</sup>.

إذا النسق الأيديولوجي امتداد يجمع بين أفراد المجتمع، ويعرف بإيديولوجياتهم الخاصة، ليتشكل وعي الأفراد وانتمائهم إلى الجماعة، وهذا الوعي هو شعور بالانتماء والاختلاف والصراع في الوقت نفسه.

### 1-5- نسق السلطة:

نعني به السيطرة على كل ما هو مطروح للمناقشة فيه السلطة من المفاهيم الغامضة و هي ظاهرة مسيطرة باستمرار يقول مولود زايد الطيب ((هو مركب من عناصر مادية و معنوية ))<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - جلال الدين عيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، (دط)، 2004، ص467.

<sup>2</sup> - لوي التوسير و نيشه: دفاثر فلسفية نصوص مختارة، تر: محمد سيلا و عبد السلام بنعبد العالي: دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2006، ص9

<sup>3</sup> - مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ط1، 2007، ص75

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

نخلص بالقول أن نسق السلطة رمزي و يسعى لبناء معرفي، ومجموعة البيانات التي تتخللها إلى الخطابات الثقافية لتمارس سيطرتها وهيمنتها من خلال مواضيع رمزية فتبني واقعا خاص بالمجتمع.

### 2- مرجعيات الأنساق :

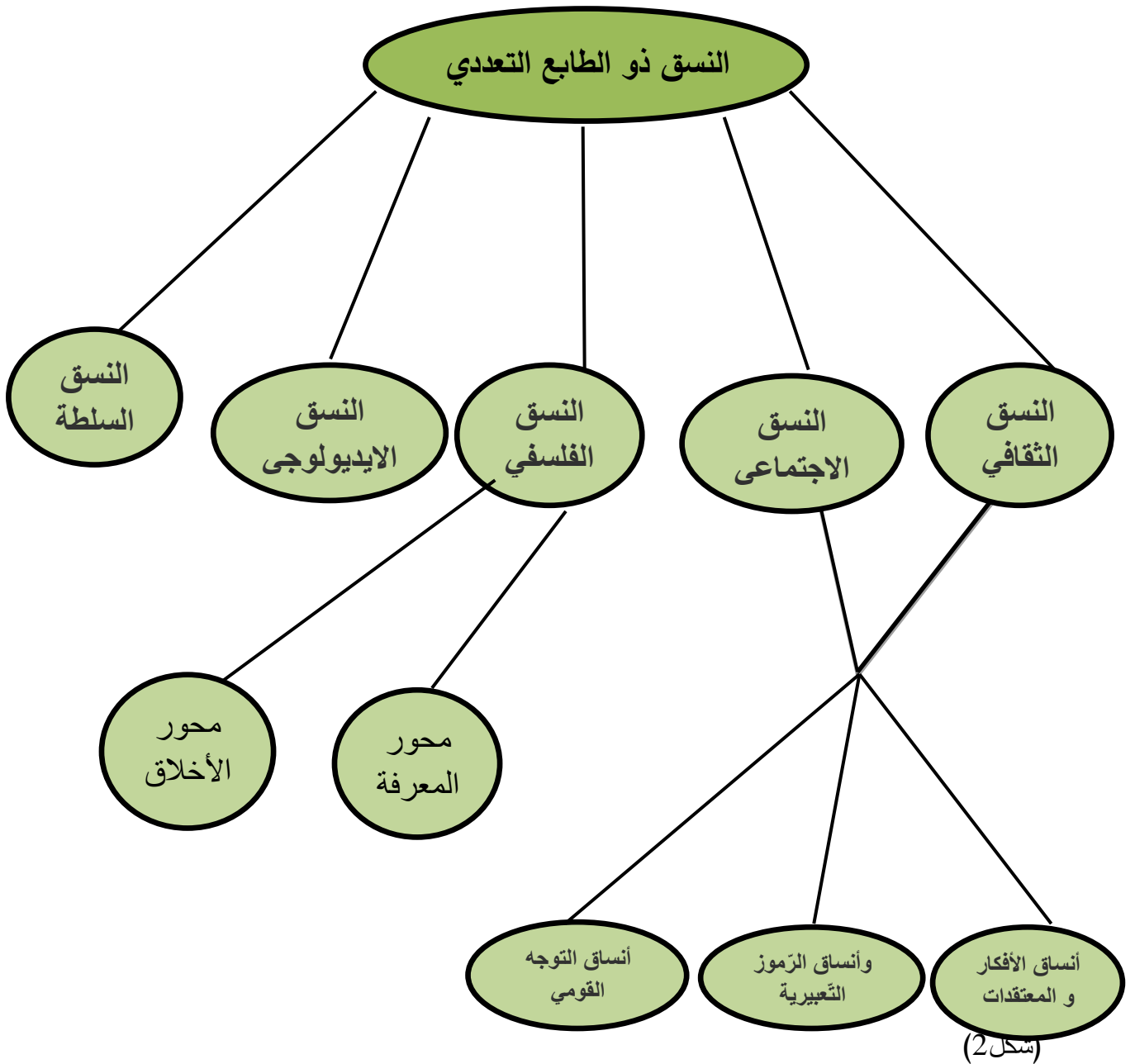
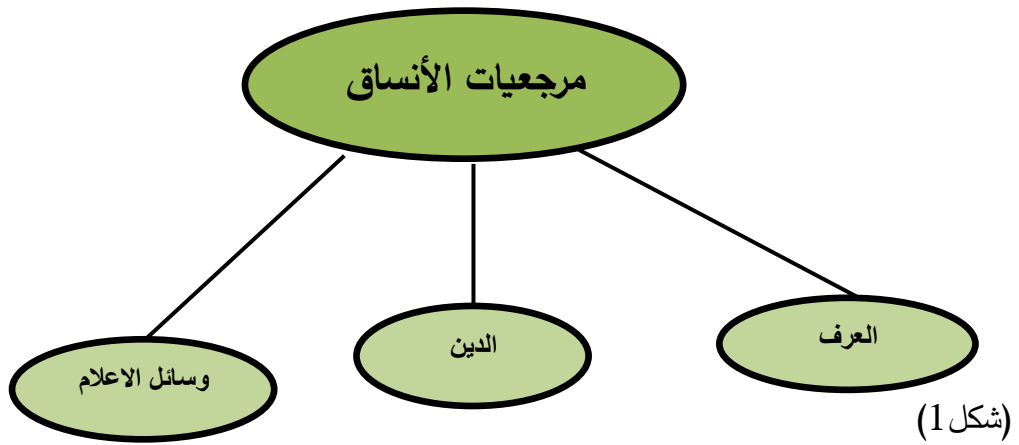
إن الأنساق الثقافية من العرف الإجتماعي يكمن في النصوص و الخطابات ، فيتقبله المؤلف و القارئ كما هو. أيضا العرف يشكل في حد ذاته نظاما و هذا ما يذهب إليه "عبد الفتاح كليوط" إذ يقول: ( مواضعه (اجتماعية، دينية، أخلاقية،...) تفرضها وفي لحظة معينة من تطورها، الوضعية الاجتماعية، التي يقبلها ضمنا المؤلف و جمهور)<sup>1</sup>.

نستخلص أن مرجعيات الأنساق الثقافية الظاهرة منها و المضمرة، أنظمة تتوزع على مجتمعاتنا وذلك من خلال الأعراف، الدين، العادات، و التقاليد و الممارسات الاجتماعية أو تخفي تحت عباءتها أساليب السيطرة و الهيمنة و التهميش بكل أنواعه. و من هنا نخلص أن الأنساق الثقافية تعمل جاهدة على فض العبادة الجمالية ابتغاء الوصول إلى ما هو وراءها فهدفه فضح الأقنعة و رؤية الأمور على ما هي عليه.

---

\*لوي بيير ألتوسير (بالفرنسية: Louis Pierre Althusser) (16 أكتوبر 1918 - 22 أكتوبر 1990) كان فيلسوفا ماركسيا. ولد في الجزائر ودرس في مدرسة الأساتذة العليا في باريس التي أصبح بمر السنين أستاذا للفلسفة فيها. كان ألتوسير لفترة طويلة عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي واعتبر أحد أهم المنظرين الماركسيين في القرن العشرين. جادل في طروحاته التهديدات، من وجهة نظره، على الأسس النظرية للماركسية. منها تأثيرات الإمبريقية على النظرية الماركسية، التوجهات الاشتراكية الإنسانية والإصلاحية التي بانته في انحرافات في الأحزاب الشيوعية الأوروبية، بالإضافة إلى مشكلة "عبادة الشخصية" وعبادة الأيديولوجية نفسها. يعتبر ألتوسير ماركسيا بنويا، رغم أن علاقته بمدارس أخرى للبنوية الفرنسية ليست مسألة انتماء بسيط وقد انتقد العديد من أوجه البنوية.

<sup>1</sup> - عبد الفتاح كليوط، المقامات (السرد و الأنساق الثقافية)، تر: عبد الكبير الشراوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص2008.



## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

### 2-1 ثقافة الذات بعث أم هدم للمكان؟

تهدف هذه الدراسة إلى التحقق من دور ثقافة الذات ومدلولها الايجابي أو السلبي لاماكن التي تجول فيها شخصيات رواية الشجرة المباركة، أي بعث للمكان بإعادة إحيائه و إعادة بنائه فيأخذ مدلولاً ايجابياً أو هدم للمكان فيأخذ مدلولاً سلبياً .  
وبما أننا نتكلم عن ثقافة الذات فانه من المعلوم انه لا يوجد هنالك إنسان مثقف و آخر غير ذلك فالكل يحمل ثقافة بيئته ( الإنسان ابن بيئته).

تعجّ الرواية بالكثير من الشخصيات أو الذوات نذكر منهم: (الصحفي نور الدين لفقيه، عبد المجيد بولخصايل، الطبيب، سيدي عيسى الولي الصالح، البعلي، عامر، مسعود خربيط، الطيبية منال بنت القاضي، السبتى الطويل، سالم حمدي، رمانة بنت السهلي، فاطمة بنت لكحل، احمد الطيار، فارس شوقي، حمود البارودي...)

اخترنا ثلاث ذوات مختلفة حاولنا دراستها من خلال ثنائية البعث و الهدم للمكان وهي:

- عبد المجيد بولخصايل.

- الصحفي نور الدين لفقيه.

- الطيبية منال بنت القاضي.

و لدراسة هذه الذوات يجب علينا أولاً التعرف على ثقافة الذات و أقسامها:

\* مقدمة في مفهوم ثقافة الذات وأقسامها: تعددت مفاهيم و تعاريف الثقافة وتطورت منذ ظهورها

كمصطلح علمي عند إدوارد تايلور **Tylor. E** الذي رأى أن الثقافة هي ذلك الكل المركب المعقد ذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن ، والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضواً في المجتمع.

بقي هذا التعريف مادة خام لعلماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يخمرون منه مفاهيمهم للثقافة يعرف الثقافة ف. بواس \* القائل: " الثقافة تظم كل مظاهر العادات الاجتماعية فقسم ثقافة مجتمع من المجتمعات البشرية إلى قسمين رئيسيين هما:

2-1-1 الذات ذات ثقافة رسمية: هي ثقافة النخبة، تنتجها وتتداولها بينها وهي نتيجة تخطيط وتفكير

واع ولا تتبع بشكل عفوي من روح المجتمع، ... وهي مألوفة عادة للنخبة من المثقفين و المتعلمين ،وقد

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

لا يتمكن من فهمها سوى النخبة كما أن توارثها يكون بشكل واعٍ ومقصود عن طريق الكتابة والتدوين وتنتقل الثقافة الرسمية من جيل إلى جيل من خلال المؤسسات والأجهزة الرسمية أو شبه الرسمية مثل جهاز التربية والتعليم، والجامعات والمعاهد، والمؤسسات الدينية الرسمية، والقوانين الرسمية، والأدب، والفن العالي المعترف به رسمياً.<sup>1</sup>

من أهم مثقفي رواية الشجرة المباركة ثقافة رسمية نجد:

### \* ناقل الوقائع و الأحداث " الصحفي نورالدين لفقير":

الشخصية المركزية الأولى أو الذات الرئيسية في الرواية و الذات المثقفة و الرجل الغيور على تاريخ الأجداد و البلاد الذي عاد بذاكرته ليحكى على لسانه شخصية أو شخصيات الرواية (يمكن للكاتب إن يجعل الحكاية تحكى على لسان إحدى الشخصيات انه المحكي بضمير المتكلم و يمكن أيضا على لسان أجنبي في هذه الحكاية سيكون المحكي هنا بضمير الغائب فالأول سمي المتمائل حكائيا و الثاني المتباين حكائيا)<sup>2</sup>.

نور الدين لفقير هو ابن أخت الشخصية البنائية للرواية الشجرة المباركة وهو الصحفي الناقل للتقارير الطبية و ذلك على إثر علاقته مع الطبيبة "منال بنت القاضي"، و فرد من العائلة و المجتمع المسيلي .

كان ينقل لنا أحداث كل مكان عبر الذاكرة و التذكر و بعملية الاسترجاع لأنه الذات التي لها علاقة بكل الذوات وبكل الأماكن، و يمكن أن نقول أنها الذات المثقفة الجواله في الرواية و يتجلى ذلك في عدة مواقف نذكر منها: (عاد من العاصمة لينقل وقائع تنمية الولاية التي درس بها في مراحل نشأته)<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد القادر طالبي، ملامح الثقافة الرسمية في الشعر الشعبي الجزائري المعاصر، مجلة التميز، المجلد 02، العدد 2020، ص: 65  
\* فرانز أوري بواس، عالم أنثروبولوجيا ألماني المولد أمريكي الجنسية ورائد في علم الأنثروبولوجيا الحديث، أطلق عليه لقب «أبو الأنثروبولوجيا الأمريكية»، وارتبط عمله بحركة التاريخانية الأنثروبولوجية. أثناء دراسته في ألمانيا، مُنح بوا شهادة دكتوراه في الفيزياء عام 1881 بالتزامن مع دراسته للجغرافيا كذلك.

<sup>2</sup> - جيرار جنيت، نظرية السرد من جهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، دار الخطاب للطباعة و النشر زنقة بروفان، الدار البيضاء ط1989م، ص102.

<sup>3</sup> - عبد الحميد مغيث، الشجرة المباركة، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع، حي بن شويان، الرويبة، الجزائر، 2018، ص4

## الفصل الثاني:.....النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

يحكي ويسرد القصة سواء حقيقة حدثت في الواقع المعيشي أم خيالية مجرد وهم (الذات

الفاعلة لعملية التلغظ يمثلها الكاتب )<sup>1</sup>

نستطيع القول إنها ذات ايجابية تنقل وتعيد الأفعال والأحداث، فهي ذات بعث للمكان إذ تساهم في تدوين تاريخ شخصيات مجتمع منطقة ما، وتقوم باسترجاع الأحداث و المجرىات استنادا على الروابط الاجتماعية و ثقافتها.

إذا نخلص أن " ثقافة الصحفي نور الدين لفقير " ذات مدلول ايجابي و بعث لكل الأماكن.

### \* المعالجة الطبية منال بنت القاضي:

تتدخل شخصية أو ذات "منال بنت القاضي" لمعالجة ومساعدة المرضى ومع أنّها طبيبة فهي ذات ثقافة رسمية، ذات مثقفة تعمل على بعث الأمل وعلاج المرضى فكانت تتأثر وتتوثر في المرضى والعائلة والمجتمع، عانت الأمرين في صمت و يتجلى ذلك في: (فضائح إدارة المستشفى، و تلاسن أعضاء النقابة، دون جدوى)، أيضا في قولها: (إنها لن تندم إن غادرت المستشفى)<sup>2</sup>

فكرت في ترقية الصحة بالريف ثم أوردت تقارير لفتح قاعات العلاج و يتجلى ذلك في: ( ..قاعات العلاج مازالت مغلقة بعد سنوات من بنائها ... لان الأطباء لا يريدون العمل في الريف...بعضهن يهلك في الطريق إلى قاعة الولادة بالمدينة لتأخر في إسعافهن.. كما ذكر التقرير حالات غرق أطفال في الآبار، و إصابة آخرين بأمراض جلدية ،جراة السباحة في مياه السواقي الأسنة).

فقد دافعت بحماس عن مشروع عيادة في الريف قالت إنها: (تدرك معنى أن البادية.. كما في إضفاء سمات جديدة على بيئتهم، لا تقل جمالا عن تلك التي ...مدن الاسمنت، والصخب، و الجريمة).

وقد ساهمت في الثورة بمعالجة مجاهدي هذه الفترة فقد كان لها موقف فناضلت لبناء مصحة أو مستشفى في المنطقة وكانت على معرفة بصحفي تمدّه بالتقارير التي أدت فيما بعد إلى فصلها من العمل بالمستشفى و يتجلى ذلك في: (أي خطأ ارتكبته منال بنت القاضي حتى استوجب فصلها من العمل، و حرمان عشرات المرضى من عنايتها، وكفاءتها المهنية؟ )<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مصطفى بوجملين : ثنائية "السارد/المسرود له" في كتاب نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري عدد10،2014م، ص258.

<sup>2</sup> - الرواية نفسها، ص25

<sup>3</sup> - عبد الحميد مغيث ، الشجرة المباركة ، دار بغدادى للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شويان ، الرويبة ، الجزائر ، 2018، ص45

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

وبعدما أرادت الاستقالة طلبها المدير و يظهر ذلك في : (هيا، انهضي ،المدير يطلبك حالا، هذا يومك الأخير في المستشفى)<sup>1</sup>.

ومن مرارة العمل إلى الإغماء و المرض، أي من المعالجة إلى المريضة وذلك في : (.نحو زاوية العموري، أين وجد منال مغشى عليها، و قيم الزاوية يحضر لها رقية.)<sup>2</sup>

إذن ثقافة ذات الطيبة "منال بنت القاضي" ذات مدلول ايجابي للمستشفى في معالجة المرضى، ومدلول سلبي في كثرة الألسن على "منال"، وأمنيتها ببناء مصحة لأهل الريف، فأكسبت الريف الإيجابية على عكس مدن الإسمنت و الصخب و الجريمة التي أكسبتها مدلولاً سلبياً للمكان.

نخلص إلى أن الثقافة الرسمية هي نتاج التقسيم الاجتماعي وهو الفرد الفاعل الذي يتبنى النظام الرسمي وحصيلته و يحمل رؤية مستقبلية له و يعمل على استمراريتها.

### 2-1-2 الذات ذات ثقافة شعبية:

الثقافة الشعبية أو الفلكلور أو الموروث الثقافي...لا يمكن تحديد مفهوم معين لأي شيء شعبي وخاصة للثقافة الشعبية، لأن كل ما هو شعبي متجدد و مكتسب لذا لا يمكن ضبط مفهوم معين. حاول بعض الباحثين أن يطابقوا بين مفهوم الثقافة الشعبية ومفهوم الفولكلور(ثقافة الشعب) الذي ابتكر مصطلحه "وليام جون تومز فيلندن" وأكده جمعية الفلكلور الانجليزية **W.J.Thoms** في سنة 1877 بقبول نصه التالي:(إن الفلكلور يمكن أن يطلق على ما يشمل ثقافة الشعب التي لا تدخل في نطاق الدين الرسمي ولا التاريخ ولكن تنمو دائما بصورة ذاتية)<sup>3</sup>.

و ندلل ذلك بقول "سي عبد المجيد بولخصايل":(في هذي السوق ما اشبع بنو ادم ،ما جاع..). أيضا في قوله:( خلو الحال كيما يبغي مولاه، ما اتحيرنيش، العود عودي، و أنا مولاه. الموت بيد ربي و الخوف علاه؟)<sup>4</sup>

وتشمل هذه الثقافة: الموروث السردى ( الحكايات و الخرافات و الحكم و الأمثال الشعبية...) و غيرها من الفنون التعبيرية الأخرى. ومن أهم متقفي رواية الشجرة المباركة ثقافة شعبية نجد:

### \* البطل "عبد المجيد بولخصايل":

<sup>1</sup> - الرواية نفسها، ص51

<sup>2</sup> - الرواية نفسها، ص71

<sup>3</sup> - عبد الحميد مغيث ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شوبان ، الرويبة ، الجزائر ، 2018 2018، ص65

<sup>4</sup> - الرواية نفسها، ص71

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

تهدف و تتدخل هذه الذات و تستهل الصفحة الأولى من رواية "الشجرة المباركة" فقد كان ذلك المثقف الذي اكتسب الثقافة من بين يدي الوالدة و يتجلى ذلك في:

(لم ينشأ سي عبد المجيد من بين مدرجات الجامعة ولا بين كتب التاريخ ولا نوادي الأدب بل فتح خياله بين يدي ولده في بيت قروي .. قرب شجرة الحرية)<sup>1</sup>

فكان تأثر الذوات الجمعية في ذات الفردية لبولخصايل خاصة في مسقط رأسه و ينجلي ذلك في:

(و ها هو سي عبد المجيد بولخصايل يتخذ من المدينة نفسها :أي المسيلة وحواضرها القريبة موطناً له.)<sup>2</sup>

أيضا رصد العلاقة بين الذات و الوطن و يتجلى ذلك في: (كانوا من طيبة الرجال الغيورين على حرمة الأرض و العرض..)<sup>3</sup>

هنا تتوحد ثقافة الذات مع ذات الوطنية، و تدعي بعملية الاسترجاع التاريخ المتمثل في العشرية السوداء لإبراز مظهرات الذات في هذه الأماكن و هذه الفترة الاستثنائية من تاريخ الجزائر و يظهر هذا من خلال علاقته بشخصيات الرواية فهو خال الراوي نور الدين لفقير ، خلد بولخصايل تاريخا بقي راسخا في ذاكرة ذوات العائلة، و يتجلى هذا من خلال: (كان خالك واحد من أولئك الذين هابهم الموت)<sup>4</sup>

وأيضا أبا لشخصيات الرواية و يتمظهر ذلك في: (..على غرار أبناء سي عبدالمجيد بولخصايل :السبتي الطويل، حمود البارودي، احمد الطيار، فارس شوقي، وسليم الجوال، وكذا عائلتي حمدي و السهلي).

علاقته بالذوات والأحداث المتفاعلة و المؤثرة في رواية الشجرة المباركة ،عن طريق عملية التذكر، فتأخذ و تستغرق ذواتهم الوقت الكافي لاسترجاع أحداثه في كل الأماكن.

إذا ثقافة ذات "عبد المجيد بولخصايل" ثقافة شعبية فكان اسمه يعني تمجيد الثورة مع الخصال الحميدة، فكان كلما تذكرته الذوات الأخرى أعادت ذكريات ذلك البيت الذي عاش فيه فيأخذ هنا البيت والمسيلة و حواضرها و ارض الوطن مدلولا ايجابيا، فيكون بعث و إحياء دائم لهذه الأماكن المرتبطة باسترجاع ذكريات لذات بولخصايل.

<sup>1</sup> - الرواية، ص3.

<sup>2</sup> - الرواية، ص4.

<sup>3</sup> - الرواية، ص5.

<sup>4</sup> - الرواية، ص3.

## الفصل الثاني:.....النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

ونجد من أهمها مكان الشجرة ذات المدلول الايجابي التي وصى أبناءه عليها فكانت تعبر عن تاريخه و من ناحية المضمرة فهي تكشف عن عرقه الطيب فسميت الرواية على هذا بـ "الشجرة المباركة" فهي إذن أماكن تتذكر فيها الذوات الفاعلة في النص الروائي و تبعث فيها الحياة من جديد بمدلول ايجابي للاماكن عن طريق الذاكرة فكانت ذاته بعث لكل الأماكن التي مر عليها.

إذا الثقافة الشعبية من الأشكال لتعبيرية المنطوقة و التي تخزنها الذاكرة الشعبية , و هي جزء من الثقافة الإنسانية لتظهر في كل من المعتقدات و العادات و الممارسات الحياتية. و بشكل عام، بقي مفهوم الثقافة الشعبية كقسم من أقسام الثقافة بعيد التقييد، صعب التدقيق، تتجاوزه النظريات الفكرية والحقول المعرفية من كل جانب.

### - ما بين البعث و الهدم :

يتجلى في الرواية أماكن ذا مدلولين سلبي و ايجابي و هذا على ذات التي تجول فيها بين البعث و الهدم فمن هذه الأماكن نذكر:

- **المستشفى**: في معالجة المرضى وهنا اكتسب المكان مدلولاً ايجابياً و استقالة الطيبة منال بنت القاضي منه لأجل مرارة الألسن ذلك في:

( لم يكن فترة نقاهة كما ارادها الجراح...ضجر تلك الغرفة)<sup>1</sup> .

فيكتسب المكان مدلولاً سلبياً .

- **زاوية العموري** : التي في الأصل أنها مكان لحفظ القران بمدلول ايجابي للمكان وبعدها للرقية و رش ماء زمزم لنزع السحر فهنا المكان بمدلول سلبي .

- **الولي الصالح سيدي عيسى**: الذات التي نشرت فعل الخير للمكان الذي سمي على اسمه بسيدي عيسى ذلك يتجلى في:

(..رجل واضب على عبادة الله، وفعل الخيرات..)<sup>2</sup>

إلا انه أصبح مقدس حيث ظهر ذلك في:

<sup>1</sup> - عبد الحميد مغيث ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شوبان ، الرويبة ، الجزائر ، 2018، ص 14

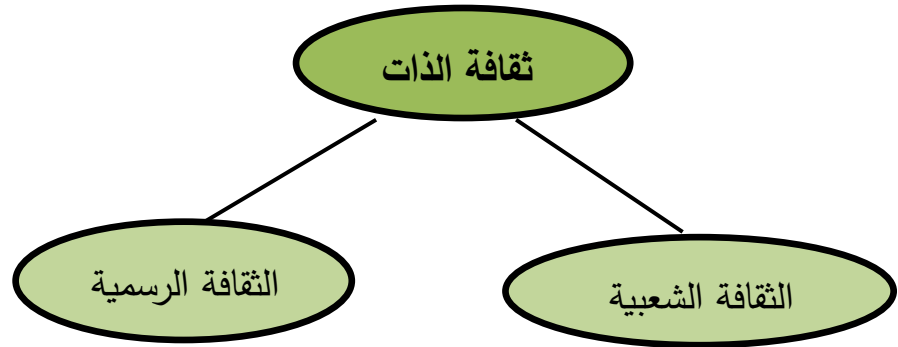
<sup>2</sup> - الرواية نفسها، ص13

## الفصل الثاني:.....النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

( تنافست عليه قبائل المنطقتين... توارثت الأجيال تسميته ب "بوقبرين"<sup>1</sup>)

إذن هنا اكتسب من خلال الذوات المتأثرة به مدلولاً سلبياً .

- المسجد: هو أكبر عازل و باعث لثقافة الذات يساهم في بناء و ترقية و بعث على عكس مكان المقهى و السوق الذين نجدهما في منطقة بين البعث و الهدم على حسب الموضوع المناقش فيهما. نستنتج انه يمكن للمكان الواحد ان يكون بعث و هدم في ان واحد ولكن باختلاف موقف ثقافة الذات، اي انه يكتسب مرة مدلولاً ايجابياً و في رأي اخر مدلولاً سلبياً. حيث أن الذات هي التي تكسب المكان قيمته الايجابية او السلبية على حسب رؤياها له اي بمنظورها الشخصي و الذاتي.



(شكل 3)

إنّا نكاد نجزم بأنّ الذات المثقفة سواء أكانت بعث أم هدم للمكان، لم تبلغ الذات طمأنينة القناعة والافتناع التي نسعى إليها. فهذه الأشكال الثقافية موجودة بالقوة شئنا ذلك أم أبينا. وهي جزء من مجتمعاتنا.

### 2-2 تلاشي الذات المثقفة :

من الواجب على أفراد المجتمع أن يتأقلموا مع التوجه العالمي للثقافة في حدود أعرفهم ،و التأقلم مع الحاصل في المجتمعات بهدف التطوير و التعايش و البناء، فكل ذات للإنسان تحمل مجموعة من المصطلحات و التصورات الإدراكية التي تمكنه من التلاشي و الذوبان.

### 1-2-2 التلاشي الذات المثقفة في الأحياء:

<sup>1</sup> - الرواية، ص13.

## الفصل الثاني:.....النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

تلاشي الذات المثقفة في الأحياء أو الشخصيات بعضها مع بعضها الآخر، يعني انه يذوب الضمير الفردي في المجتمع، وهو الأقدم والأكثر انتشاراً في الرواية . يكثر في الرواية ذات الأصوات المتعددة، والتي تعبر عن صراع الإيديولوجيات، في حين يكاد يختفي في رواية تيار الوعي التي تُبنى على حدث نفسي . أما وظيفة التلاشي للذات المثقفة في الإحياء فهي الكشف عن الملامح الفكرية للأحياء، وتحديد مواقفها من أحداث الرواية، ومن القضايا الاجتماعية والسياسية التي تطرحها أحداث الرواية، فيتجلى ذلك في الحوار القائم بين ذوات الأحياء في:

(عدت إلى الطبيبة المستقدمة حديثاً إلى المستشفى في موعد الفحص الثاني قامت بما يلزم وصفت لي دواء منت أخبرتها انه ساعدني في بداية العلاج على تنظيم نومي ،بان بعض الطعام لا يؤلمني، بحيث سبب لي أبي حالة من الأرق المزمن الذي ظهرت إعراضه في طفح جلدي).<sup>1</sup>

لكني اندهشت عند قولها مبتسمة:

- احذر أن تتعاس في العلاج فيصيبك ما أصاب صحيفتنا، قبل مدة .ساعتها ،لن تشفيك الرقية.

لا أخفي عليك من شدة المفاجأة، نطقت:

أعرفه ، أعرفه كان زميل الدراسة، لم أره سنوات .

عندها تدخلت قائلة:

صحيح انه بخير زارنا في الآونة الأخيرة، لكن في مناسبة غير سارة.<sup>2</sup>

هنا تتدخل و تتلاشى الذات المثقفة في الأحياء و ذلك عبر تقنية الحوار، حيث أن "الطبيبة منال بنت القاضي" قد عالجت نور الدين لفقير في المرتين و لم تعرفه إلا للمرة الماضية و التي بعدها دار حوار بينهما في خصوص المرض و بالنسق المضمّر ينجلي أن الحوار كان يدور حول الصحيفة.

### 2-2-2 تلاشي الذات المثقفة في الأموات:

اهتم الروائيون بماضي الشخصيات المثقفة. وقد استخدموا طريقتين للعودة إلى الماضي: الأولى تم فيها استرجاع الماضي عن طريق الشخصية نفسها، وباستخدام ضمير المتكلم، وأما الثانية فتحققت

<sup>1</sup> - الرواية، ص 22.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 22.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

فيها العودة إلى الماضي عن طريق الراوي الذي يستخدم في هذه الحال ضمير الغائب لاطلاعنا على ماضي الشخصيات، فتكشف هذه الأخيرة عن أعماق الشخصيات، وتقديمها من الداخل، لذا ارتبطت هذه التقنية بالرواية السيكولوجية المبنية على حدث نفسي، وبالتحليل النفسي للشخصيات. وهذا ما أشار إليه الناقد "ميشال بوتور" بقوله:

(وإذا بذلنا مجهوداً قاسياً في اتباع النظام الزمني بدقة متناهية، دون الرجوع إلى الوراء، حصلنا على ملاحظات مذهشة. وهكذا تستحيل كل عودة إلى التاريخ العام، وإلى ماضي الأشخاص الذين صادفناهم، وإلى الذاكرة، وبالتالي إلى كل ما هو داخلي، فيتحول الأشخاص عندئذ بالضرورة إلى أشياء، و لا تعود رؤيتهم ممكنة إلا من الخارج)<sup>1</sup>.

ولتقنية العودة إلى الماضي وظيفتان : الأولى إخبارية، وهي ملء الفجوات في حياة الشخصيات المحورية، والثانية أساسية، تساهم في تشكيل بنية الشخصية، من خلال الدور المنوط بتقنية العودة إلى الماضي، وهو الكشف عن المكونات الفكرية والنفسية للشخصية. وقد استخدم بعض الروائيين السوريين هذه التقنية في وظيفتها الثانية، لرغبتهم في تحديث الرواية العربية، وطموحهم إلى بلوغ الأخيرة المستوى الفني الذي بلغته الرواية الغربية الجديدة. و يتجلى ذلك في رواية الشجرة المباركة في:

( مع مرور الأيام تفنن الإرهاب في التضييق على الأهالي بغرض إماتته جوعاً و يأساً من الحياة)<sup>2</sup>

هنا و في العشرية السوداء أين كان الإرهاب كلمة رعب في حد ذاتها موت فيعتبر تضييقهم على الأهالي موتاً بطيئاً لولا فطنة سي عبد المجيد لحث الناس لمؤازرة بعضهم البعض إذن يتجلى لنا من هذا النص إن الموت ليس فقد مفارقة الروح للجسد بل له عدة أصناف مدنسة كما عمل الإرهاب في الأهالي آنذاك وأيضاً في :

(لكن الأفراس أبت أن تشرب و اخذ الأبناء يتشممون مصدر الرائحة النتنة حتى سمعوا نعيق غراب ، وبعد حين شاهد فارس شوقي عشا في احد أغصان تلك الشجرة المهملة، من تلك اللحظة ،شرعوا يقبلون التراب بحثاً عن بقايا جثة سي عبد المجيد بولخصايل . ثم تنهد من الحسرة و حدث نفسه كان و سيبقى مدار حديث الأجيال، ما دام بعض الشهود يذكرون بالتفصيل مواقفه.)<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية(دراسة)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999، ص 181

<sup>2</sup> - عبد الحميد مغيث ، الشجرة المباركة ، دار بغداد للطباعة و النشر و التوزيع ، حي بن شوبان ، الرويبة ، الجزائر ، 2018، ص 98

<sup>3</sup> - الرواية نفسها، ص144

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

يتجلى لنا من خلال النص المسرود أن سي بولخصايل مات من سطوة الإرهاب في الحاضر وان تلك الشجرة التي لا طالما كان يوصى أبناءه عنها فقد باركها بجثته التي في تربتها. إذن تلاشي الذات المثقفة في الأموات بدا جليا في عدة أحداث في الرواية.

### 2-2-3 تلاشي الذات المثقفة في الأشياء:

تلاشي الذات المثقفة في الأشياء هي طريقة التي يعيش بها الناس ، وأنماط حياتهم وإبداعهم ، وما إلى ذلك. تشمل الثقافة الفن والمعرفة والمعتقدات والقيم والأعراف والمنظمات والعلاقات الاجتماعية والعديد من تلاشي الأشياء الأخرى في المجتمع. قد يكون لمجتمع معين ثقافة واحدة وهناك تنوع ثقافي بين الثقافات المختلفة. ومع ذلك ، فإن لكل ثقافة ممتلكاتها الثقافية المادية وغير المادية.

- الثقافة المادية هي الأشياء المادية التي تمثل ثقافة معينة بينما تحتوي الثقافة غير المادية على أفكار أو مواقف أو معتقدات في ثقافة معينة. ومع ذلك يظهر في:

( جاء دوري فيما بدا ، أمرني الجندي بالاستعداد لمغادرة المكان، في الوقت الذي كان فيه زميله يفتش الحقيبة. انتبه لفوضى الأشياء التي ملأت جيوبها العديدة الداخلية، و جيبها الخارج الكبير الذي سقط منه هاتف نقال مطفاً .

ها هي الأشياء تنقلب في ذهني ، سمعني اقول:

هذا القلب يلزمه المزيد من الصبر)<sup>1</sup>.

فإن الثقافة المادية جعلت البشر هم الكائنات المهيمنة على الأرض.

- تحتوي الثقافة غير المادية على أفكار أو قيم أو مواقف تشكل الثقافة، يظهر ذلك في:

(نمت تحت صهد الشمس الحارقة ، و عندما افقت في الظهيرة ، لم اعرف مصير الماعز، نحت كالملدوغ ،داعيا الله الا يكون القطيع وقع بين مخالف الذئاب.

مر فجأة غراب ، كففت عن البكاء ،قلت :

- هذا يومي الاخير في دار الدنيا.

لكني فرحت ان لا اسمع بعد موتي كلام السوء .

ماذا انكر لك؟

بعدها هربت الى اقاربي...)<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الرواية، ص63.

<sup>2</sup> - الرواية، ص28.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

نخلص أن الثقافة غير المادية تعبر عن المكونات و الأفعال الحسية للذوات وذلك من أفرح أحزان ألم، فراق، ... كل هذه الأحاسيس من ظاهر ومضمر تخدم القارئ لفهم النص السردي.

### 3- ذاكرة المكان رصيد للذات المثقفة:

تستمد الرواية التي بين أيدينا ذاتها من الفضاء المكاني و هذا ما اكسب معاني كثيرة للذات المثقفة داخل النص الروائي لان التمثيل المكان ووصفه المتعدد في أي رواية يجعل القارئ يعتقد بواقعتها يكون المكان رصدا للذات المثقفة و ذلك بانسجامها مع الأفكار و التذكار و المكان بالمفهوم العام هو الحيز والفضاء يقول "حميد حميداني":

(إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية لان الفضاء اشمل و أوسع من معنى المكان هو مكون الفضاء)<sup>1</sup>

يتجلى لنا أن الروائي استخدم أساليب حديثة إذ انه استخدم أسلوب التناوب السردي بين الذوات "الصحفي نور الدين لفقير" و عودته إلى منطقة التي درس بها و نقل أخبارها من المهجر إلى البلد و المسيلة و ضواحيها منتقلا من المقهى و السوق و المقبرة و المستشفى و"عبد المجيد بولخصايل" و تنقله عبر الأماكن من المدن إلى ضواحي المسيلة و مسكنه بحمام الضلعة و الشجرة المباركة التي كانت المكان المحبوب لبولخصايل التي وصى عليها أبناءه و الجبال الشاهقة التي تعبر عن ثورات التي خاضها وقت الاستعمار و العشرية السوداء في محاربة الإرهاب و غيرها من الأماكن.

-الطبيبة منال بنت القاضي و تنقلها من جامعة العاصمة إلى التبرص في المستشفيات ، البيت ، و العمل بين المدن و الريف.

إن بولخصايل ، والصحفي نور الدين لفقير، والطبيبة منال بنت القاضي ، مرتبطون بمعطيات "المكان"، و عملية الاسترجاع لذكريات المرصودة ، التي كان فيها بولخصايل الغائب والحاضر، الرجل الشهم ذو العروق الطيبة و الشجرة المباركة. وكان نور الدين لفقير الصحفي الناقل و المسترجع لنقل أحداث الأماكن خاصة المسيلة و ضواحيها، وكذا الذوات المكملة للرواية، محملة أيضا بالمكان ودلالاته وامتلاكه و ينجلي ذلك في:

(...أ تذكر جيدا انه انتابني تلك الأيام هوس التنقل من المدينة، فرارا بأمنية العمر....حلمت ان تشيدينى منار و أسراب التائهين خلف الحجب ، وما بين ذرات الملح الهائم بالسراب (...)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - حميد الحميداني، بنية النص السردي "من منظور النقد الادبي"، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط2000، ص3، ص63.

## الفصل الثاني:.....النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

هنا يظهر لنا إن المكان غير مناسب لأحلام الذات المثقفة، ويمكن ذلك في حجب أمانهم (المكان/الحيز) دورا رئيسيا في بناء ذات الرواية خاصة الذين درسناهم سابقا.

( بولخصايل، الطبيبة منال بنت القاضي ،و الصحفي نور الدين لفقير)، و كان تذكر المكان يخيلنا إلى رصد تفكير تلك الذات و يتجلى ذلك في:

(كانت محطة ذلك السفر قرب مكان بيع الأغراض القديمة ..و أنا اقترب ، ملتفتا في كل الوجوهات، باحثا هذه المرة، عن مقهى اشرب فيه ذكرياتي المغشوشة)<sup>2</sup> .

كما لعبت الذوات دورا أسطوريا في بناء ذات بولخصايل ، ورؤية عامر له أيضا في قوله:

( تذكرت في الحال سي عبد المجيد بولخصايل وذكرت من كان في المكان بما حكى لي يوما من الثورة التحريرية الجزائرية ..)<sup>3</sup>.

لقد تأسس الخطاب السردي في تشكيل و بناء الذات الروائية وتحديد وجهة نظرها من خلال مستوى اجتماعي، تاريخي، و ديني مرتبط بالمكان، لم ينفصل عن المكان .

ف نجد أن نور الدين لفقير كان يسترجع ذاكرة المكان في الفصول الأربعة(1،2،3،4) فكان الراوي هو البطل أما الفصل (1،2) فقد كان جل السرد عن طريق السارد نور الدين لفقير و أما الفصل (2،3)، فتتدخل من الحين إلى الأخر ذات الطبيبة منال في الرواية أما في الفصلين الأخيرين فتتوعد من الصحفي إلى بولخصايل و باقي من ذوات الرواية.

كان هذا التنوع السردي يرسخ لدى المتلقي البعد الواقعي في الرواية، و منه فتتوعد الفضاء الجغرافي و تتناسبه مع طبيعة الدراسة فيعطينا الروائي أماكن تواجد الأبطال و ذوات الرواية و بهذا يمكن القول انه:

(مقابل لمفهوم المكان الذي يتولد عن طريق الحكيم ذاته، أنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال و يتفاعل بعضهم مع بعض، و يؤثرون فيه ويتأثرون به.)<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الرواية، ص6.

<sup>2</sup> - الرواية، ص11.

<sup>3</sup> - الرواية، ص61.

<sup>4</sup> - حميد الحميداني: بنية النص السردي "من منظور النقد الأدبي"، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1991، ص64.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

لقد أنتج المؤلف موضوع الرواية، وشكل معالمه، كما أنتج الذوات الروائية واستحضرت صفاتها وأخلاقها ومشاعرها ذات العلاقة بالمكان، و شكل المواجهة الحضارية بين المدن والأرياف.

كما أبرزت الرواية قيمة الأرض في المجتمع الذي يسكن القرية أو المدينة، فالكاتب استخدم المكان في حيزه المفتوح ، حيث تنتقل الشخصيات وترتحل من مكان إلى آخر ويتجلى ذلك في:

(كانت سور الغزلان منذ أن بناها إبراهيم مختاري مدينة جميلة، مثيرة لخيال الأدباء و الفنانين، يقصدونها من العاصمة ، و هران كما في الصحراء...تركت أهلي في بسكرة قبل التوجه إلى تونس)<sup>1</sup>.

نستنتج مما سبق أن هناك ارتباط وثيق بين الذات المثقفة والمكان، حيث يرصد مشاعر الانتماء للوطن وحبه بمكانة عالية في نفس الراوي التي ترجمها في أماكن عديدة في متن الرواية، ففي كثير من الأحيان سيطر المكان بعناصره وأجزائه ومكوناته على الذوات.

من خلال هذه الدلالات نستنتج أن الفضاء قائم على منظومة القيم التي ترصدها ذاكرة المكان مع الذات المثقفة، وهكذا يرتبط فهم نسق الأحداث مع الصورة الاسترجاعية للمكان.

ويمكننا التمييز بين نوعين من الأماكن: أماكن مغلقة، و أماكن مفتوحة.

### 1-3 الأماكن المغلقة:

تمثل الاماكن المغلقة كل الأماكن المحدودة بمساحتها .

(تمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدود إمكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح ، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والمأوى الذي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة)<sup>2</sup>

وتتميز هذه الأماكن بمميزات قد تكون ايجابية (الألفة و الأمان) كما قد يكون معاكسو أي سلبية مثل (الخوف و الوحدة) فهو محدود أماكن الإنسان ، ومن بين الأماكن المغلقة في رواية الشجرة المباركة نذكر منها : البيت، المستشفى، المقبرة، الجامع ، المقهى، الزاوية، الجامعة...

<sup>1</sup> - الرواية، ص 79.

<sup>2</sup> - سعدلي سليم، أنواع الأماكن و دلالاتها في "رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغامي"، جامعة برج بوعريش، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد، 39 ص 97.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

- الجامع(المسجد): دار عبادة المسلمين، وتقام فيه الصلوات الخمس المفروضة وغيرها، وسمي مسجداً لأنه مكان للسجود لله، حيث قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾<sup>1</sup> ويُطلق على المسجد أيضاً اسم جامع، وخاصةً

إذا كان كبيراً، وفي الغالب يُطلق على اسم «جامع» لمن يجمع الناس لأداء صلاة الجمعة فيه فكل جامع مسجد وليس كل مسجد بجامع، مكان للعبادة و التقرب إلى الله عز وجل بالصلاة و الدعاء ، و ظهر في الرواية كمكان لحفظ القرآن و يتجلى ذلك في:

( وضعت نصب عيني أن أحفظ كلام الله كله...قالوا لوالدي إن ابنك قضى عشرة شهور ، و لم يتجاوز سورة الضحى...) و ايضا ( شعرت بدوار في راسي ، في اليوم السابع بكيت في قلبي لمكيدة فصلي من الجامع.) فهنا يظهر لنا ان ذاكرة المكان "الجامع" رصدت لنا العزلة و الكآبة لهذه الذات فكانت ذات مدلول سلبي للجامع.

- البيت: مكان يقيم في المرء او العائلة اذ (يمثل البيت كينونة الإنسان الخفية أي أعماقه و دواخله النفسية فحين نتذكر البيوت و الجرات نعم أننا نكون داخل أنفسنا)<sup>2</sup>

وتتجلى لنا في البيت صورة الالفة و قيمة المكان للذات المثقفة في:

( لم ينشأ سي عبد الجيد بولخصايل بين مدرجات الجامعة و لا بين كتب التاريخ...بين يدي والدته في بيت قروي...) <sup>3</sup>

فالبيت رصد لنا ذاكرة المكان بمدلول ايجابي للذات المثقفة سي عبد المجيد.

- المستشفى: مؤسسة للرعاية الصحية توفر العلاج للمرضى من قبل طاقم طبي و ن تمريض متخصص و معدات طبية، يتجلى ذلك في:

(إنه كان يعالج المرضى في المستشفيات العامة لمدة عشرين سنة، كما جاء في نص الإعلان).<sup>4</sup>

كانت ذاكرة المستشفى رصد للطبيب في كفاحه مع المرضى تأخذ مجرى ايجابي في الذات على عكس ما ورد في مقولة أخرى:

(بعد التحية ،اود عرض وقائع العمل هنا بمستشفى الزهراوي بالمسيلة بغرض نشره، إذا أمكن في الصحافة. بعد انتقالني من مستشفى سيدي عيسى قبل ستة أشهر، لاحظت تسببا في إدارته، ساءت

<sup>1</sup> - القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 114.

<sup>2</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردي "تقنيات و مفاهيم" ، الدار العربية للعلوم الناشر، الجزائر ، ط1، ص106.

<sup>3</sup> - الرواية، ص3.

<sup>4</sup> - الرواية، ص6.

## الفصل الثاني:.....النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

معه المعاملات بين أعضاء السلك الطبي، فضلا عن إهمال المرضى المقيمين، و نقص علاج المسعفين إليه)<sup>1</sup>

ذاكرة المستشفى تأخذ منحى آخر في ذات الطيبة منال بشكل سلبي لأنها لم ترضى بما وجدت عليه المستشفى فأرادت عرض وقائع العمل.

### 3-2 الأماكن المفتوحة:

هي كل الأماكن غير محدودة المكان و يمكن أن تدخلها العديد من الذوات (حيز مكاني خارجي الذي يحوي حدود ضيقة يشكل فضاء أرحب و غالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق)<sup>2</sup>

و نجد من اهم المناطق المفتوحة: المقبرة ، المقهى ، القرية و المدينة.

**1- المقبرة:** هو مكان دفن الإنسان بعد موته وهو عبارة عن حفرة تأخذ الشكل المستطيل بمساحة جسم الإنسان المتوفي وبعمق لا يتجاوز المترين في الغالب تُوضع فيه جثة الإنسان ويُغطى بالتراب بعد ذلك وتسمى قطعة الأرض التي تُخصص للقبور بالمقبرة.

و ذكرت المقبرة في الرواية عدة مرات نذكر منها:

( قال لكم أما، وقد أصبحت المقبرة تهدد حياتكم، سنحولها إلى مكان لردم القمامة، التي باتت تقض مضجع أهل المدينة، و تزكم أنوفهم.)<sup>3</sup>

فالمقبرة أعطت قيمة سلبية لذات مدير الصحة. أيضا في:

( مر وقت لم يزر فيه أي مسؤول محيط "وداكة" المقبرة التي وعد المسؤولون بأن يهيئوا مساحة منها يقام عليها مشفى اكبر من العيادة...)<sup>4</sup>، بما أن ذاكرة مكان المقبرة في الحقيقة لها قيمة ايجابية للذوات الحية في ستر الأموات إلا انه يظهر هنا رصد بقيمة سلبية للذات و ذلك بمعتقدها و تفكيرها .

- المقهى:

تعد علامة الانفتاح الاجتماعي و الثقافي مما أدى الى انتشاره و بكثرة في العالم العربي و مما لا

شك فيه فان المقهى تعتبر:

<sup>1</sup> - الرواية، ص 21.

<sup>2</sup> - سعدلي سليم، أنواع الأماكن و دلالاتها في "رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي"، جامعة برج بوعرييج، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد 39 ص 97

<sup>3</sup> : الرواية ، ص 53.

<sup>4</sup> - الرواية ، ص 76.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

(مكان انتقال خصوصي بتأطير لحظات و الممارسة المشوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة فهناك دائما سببا ظاهرا و خفي يفضي بوجود شخصيات ضمن مقهى ما..)<sup>1</sup>

فالمقهى يعطي جمالا للشارع و يتجلى ذلك في:

(بمجرد خروجي من المقهى ،أجلت بصري في الشارع الطويل)<sup>2</sup>

المقهى رصد لالتقاء الذوات و الاحتكاك الاجتماعي و الثقافي و ذلك حسب الموضوع المتداول تأخذ المقهى قيمتها بالإيجاب أو السلب.

- القرية و المدينة:

- القرية: هي عبارة عن تجمع سكاني صغير نسبياً، وتشغل مساحة صغيرة من الأرض، وتمتاز منازلها بقربها من بعضها؛ ليتمكن السكان من الاختلاط فيما بينهم، والدفاع عن بعضهم ضد الأعداء، وغالباً ما تقع القرى في المناطق الريفية، ولكن يُمكن أن يقع بعضها في المناطق الحضرية. يظهر في الرواية العديد من القرى والأرياف و ذلك في:

(غشى بصره دخان امتد على مدى السهل المحاذي لهضبة أحاطت بالقرى المتناثرة، بانث بينها قرية الصابرين كواسطة العقد.)<sup>3</sup>

ومنه نجد أن الرواية تعج بالقرى و الأرياف مثل قرية الزيتون ، حمام الضلعة ، المعاضيد، و قرية الصابرين و التي سمي الفصل الثالث من الرواية عنها.

- المدينة: هي مجموعة كبيرة من المنازل الواقعة في منطقة حضرية، وتمتلك حدوداً ثابتة وحكومة خاصة بها، وتعدّ مركزاً هاماً للتجارة والثقافة، وتتميز بمساحة كبيرة وكثافة سكانية عالية مقارنة بالقرية، ويُعزى سبب ذلك إلى المزايا التي تتمتع بها المدن، والتي تتسبب بهجرة الكثير من سكان القرى إليها. و ذلك ينتقل الأفراد من مدينة لأخرى و يظهر ذلك في:

(يقصدونها من العاصمة، وهران كما من الصحراء...إني تركت أهلي في بسكرة قبل التوجه إلى تونس.)<sup>4</sup>

وهنا مدلولاً ايجابياً في التنقل من مدينة لأخرى لرصد الذات المسافرة.

<sup>1</sup> - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي " الفضاء ، الزمن، الشخصية"، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ط1990، ص91.

<sup>2</sup> - الرواية، ص55.

<sup>3</sup> - الرواية. ص119.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 79.

## الفصل الثاني:..... النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة

إذا للمكان دوراً هاماً في تحديد خصائص تقنيات الرواية في النقد العربي المعاصر، الفكرية والنفسية للذوات، و هنا تظهر العلاقة المتبادلة بين المكان و الذات، أي أن وظيفة المكان هي إلقاء المزيد من الضوء على الذات، بغية الكشف عن عالمها الفكري والنفسي.

نخلص من الفصل الثاني إلى أن المكان هو التجربة المعاشة داخل العمل الروائي و القادر على إثارة ذكرى في الذوات المتفاعلة. إذن فالمكان فضاء يجسد الأنساق الثقافية و الرمزية وهو مادة خصبة للدراسات.

لذلك سعى هذا الفصل إلى الكشف عن سطوة المكان؛ وما يتمتع به من حمولة فكرية والإحاطة بجزئياته وعناصره في هذه الرواية من أجل استنطاقها وتعرية أنساقها المضمرة في فضاء المسيلة وفضاء مليئاً بالرموز التي تولد رؤى فكرية خاصة بها، مما يعطي نصوصاً روائية متميزة ومتخمة بالدلالات.

وبطبيعة الحال، لكل مشروع بحث خاتمة تتمنه، وها نحن ننقي بعض ما توصلنا إليه من نتائج بدت لنا أكثر أهمية، ونوردها كما يلي:

- ✓ إن رواية الشجرة المباركة كانت مرتبطة بالذاكرة ارتباطا وثيقا بين الحاضر و الماضي، وكانت نقطة وصل بين الذات و المكان، وهذا راجع لذاكرة الكاتب المتراكمة ومحاولة الإفصاح عما تحتويه من حقائق.
- ✓ في الرواية إichاءات و إشارات تحيل مباشرة إلى الواقع، فقد تطرق الكاتب إلى مختلف الأحداث التي مرّت بالمنطقة- المسيلة- و الجزائر في العموم ، من خلال شخصيات قامت ببناء ذواتها من جديد و بصورة جيّدة ممّا جرى مع "عبد المجيد بولخصايل" وإعطاء صورة عن الذات الوطنية ، وكانت تروى الأحداث بنوع من الإخفاء و التحايل، ليتشكّل المضمّر لدى القارئ البسيط عن حقائق المكان في تاريخ المنطقة.
- ✓ يعدّ المكان عنصرا فنيّا في النصّ السردى و هو ما لاحظناه في الرواية، وارتبط بشكل قوي بالذاكرة لدى الذوات المثقفة على وجه الخصوص.
- ✓ اعتمد الكاتب في بنائه السردى للرواية على مختلف التقنيات السردية من استرجاع للأحداث حيث تقوم الذات بالرجوع إلى الورا ل سرد أحداث مضت و هذا رغبة من الكاتب لتوضيح أحداث قد تكون غامضة أو مجهولة.
- ✓ إن رواية الشجرة المباركة حققت مفارقة يتجاوزها التركيز على الشجرة المباركة ويتعدّها إلى المرجع الواقعي والمتمثل في الحياة الأولى و هي الريف.
- ✓ تمكن الكاتب من سرد الأحداث و ذلك بعدة ذوات حكائيّه ساهمت في تطوير ونقل العمل السردى من خلال الحوارات سواء الداخلية أو الخارجية، إذ استعمل ضمير المتكلم بكثرة و ذلك لإثبات حضور الذات، وتناول الوضع بطريقة واقعية و بدون تخيل.
- ✓ تعدّدت الذوات الروائية فهي تحمل أسماء واقعية : عبد المجيد ، نور الدين ، منال ..إلخ أي من الواقع الاجتماعى ، نظرا لجذلية الموضوع و ما يميزه أنها ذوات ثقافية.
- وخلاصة الحديث أنه عمل سردى روائى فيه ذوات ممزوجة بذاكرتها ومتمّصلة بالمكان، والذاكرة هي التي صقلت الثقافة لدى الذوات.

1- قائمة المصادر:

1 - القرآن الكريم، رواية ورش.

2- عبد الحميد مغيث، الشجرة المباركة، دار بغدادية للطباعة والنشر والتوزيع، حي بن شوبان، الرويبة، الجزائر، 2018 .

2- المراجع:

3- فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط1، 2008.

4- تجليات المكان في رواية أشباح المدينة ل"بشير مفتي"، مذكرة تخرج شهادة الماستر 2014/2013 ،جامعة العربي بن مهدي أم البواقي ، إعداد الطالبة كريمة سمار .

5- الكندي يعقوب أبو يوسف ، رسائل الكندي الفلسفية ، تر : محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،مصر ، ج2، 1953.

6- حسن بحرأوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2، 2009.

7- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط2، 1984 .

8- ياسين النصير، الرواية و المكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط، 1986.

9- محمد عزام، شعرية، الخطاب السردية. دار رسلان للطباعة و النشر و التوزيع، 2015/01/01

10- عبد الملك مرتاض ،في نظرية الرواية، دار النشر عالم المعرفة، ديسمبر 1998 .

11- قادة عقاق ، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر ، جدل المكان و الزمان ، دار الغرب للنشر و التوزيع ،وهران، ط1، 2002.

- 12- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة د. محمود الربيعي، دار المعارف بمصر، طبعة ثانية، 1975.
- 13- إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار
- 14- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ )
- 15- أحمد النعيمي، ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2004/02/01.
- 16- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة، ط2الصادرة ي 1997
- 17- عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح(البنية الزمانية و المكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2010
- 18- زهير سوكاح، مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالنياكس، ترجمة نسرين الزهر ، بيت المواطن للنشر و التوزيع 2016 دمشق/بيروت.
- 19- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 2005.
- 20- محمد عبد المعبود مرسي: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل و النسق الاجتماعي(دراسة تحليلية نقدية)، كلية القصيم، بريدة، السعودية، ط1، 2001.
- 21- اديث كريبزول: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993.
- 22- جلال الدين عيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، (دط)، 2004.
- 23- لوي ألتوسير و نيشه: دفاتر فلسفية نصوص مختارة، تر: محمد سبيلا و عبد السلام بنعبد العالي: دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2006.
- 24- عبد الفتاح كليوط، المقامات (السرد و الأنساق الثقافية)، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.

- 25- عبد الفتاح كليوط، المقامات (السردي و الأنساق الثقافية)، تر: عبد الكبير الشراوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.
- 26- جبرار جنيت: نظرية السردي من جهة النظر الى التبئير، تر: ناجي مصطفى، دار الخطابى للطباعة و النشر زنقة بروفان، الدار البيضاء، ط11989م.
- 27- حميد الحميداني: بنية النص السردى "من منظور النقد الادبى"، المركز الثقافى العربى للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط2000، 3م.
- 28- محمد بوعزة: تحليل النص السردى "تقنيات و مفاهيم"، الدار العربية للعلوم الناشر، ط1الجزائر

3- المراجع باللغة الأجنبية:

29-daniel L. Schacter , Angela H. Gutchess , Elizabeth A. Kensinger (2009), *Specificity of Memory: Implications for Individual and Collective Remembering*, Cambridge: Cambridge University Press.

30-JEAN-CHRISTOPHE MARCEL, "Mauss et Halbwachs vers la fondation d une psychologie collective (1920-1945) , *Sociologie et sociétés*, vol. 36, no 2, Automne 2004.

4- المذكرات والرسائل:

- 31- بنية المكان و الشخصية فى رواية "قصة حياة فى طى النسيان" لـ عبلة قدار، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر 2017/2016، جامعة محمد بوضياف المسيلة، إعداد الطالبة "أسماء كيمور".
- 32- تجليات المكان فى رواية أشباح المدينة لـ "بشير مفتى"، مذكرة تخرج شهادة الماستر 2014/2013، جامعة العربى بن مهدي أم البواقي، إعداد 12- أحمد طالب،
- 33- جماليات المكان فى القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران. الطالبة كريمة سمار.

34- بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عبد الجليل مرتاض نموذج ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2014/2013 إعداد الطالب إسماعيل زغودة .

35 - البنية الزمنية في رواية السقوط في الشمس لسناء شعلان ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر إعداد الطالبين طيب شريف عادل وعمور إبراهيم جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، 2018-2019 .

#### 5- الدوريات و المجلات:

36- إلهام يحيى عبد الولي المرتضى1، ( مفهوم الذات لدى طالبات كلية التربية للطفولة المبكرة وعلاقته بلغة التخصص الدراسي (عربي - انجليزي))، مجلة الطفولة، العدد 29 (عدد مايو 2018) .

37- المجيد لهالي . ( أماكن الذاكرة بالمغرب :مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة, تافيلالت نموذجا . مجلة العصور الجديدة. - فصلية صنف ج - المجلد 10 - العدد 2 (جوان) 1441هـ/2020.

38- بكر السباتين، صحيفة المثقف ، قراءات نقدية (أدب ومسرح) ،العدد 5458 ، الصادر: الأحد 15 - 08 - 2021م .

39- بلحاج الصديق،(مفهوم الذات متعدد الأبعاد لدى المراهقين الممارسين للرياضة و المراهقين غير الممارسين للرياضة) دراسة مقارنة، معارف (مجلة علمية دولية محكمة) السنة 12 . العدد 22. (جوان 2017).

40- بن رجال كوثر، تناني سمية (تمظهرات الذات والآخر في المكان والحوار من خلال رواية "في قلبي أنتى عبرية" لـ "خولة حمدي")، مذكرة ماستر ادب حديث، السنة الجامعية 2020/2019، جامعة المسيلة.

41- حنينة طبيش. اشتغال الذاكرة في الكتابة النسائية. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2019 رقم العدد التسلسلي 17.

42- عيساني نزيهة و اب .د براهيم عبد النور / جامعة طاهري محمد بشار،(جدلية الذات و الوطن في رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح) مجلة دراسات، المجلد 07 / العدد 01 ، فبراير 2018.

43- سعدلي سليم ،أنواع الأماكن و دلالاتها في "رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي"، جامعة برج بوعرييج، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد 39.

44- شيخ سيبي، (اللغة والذاكرة في المستعمرات الفرنسية: السياق السنغال من لغة الثقافة إلى ثقافة اللغة!) تاريخ النشر 2021/06/05 مجلة أنثروبولوجيا . المجلد 07 . العدد 01. السنة 2021.

45- محمد الصديق العماري ، الثقافة بين الأنا و الأنا الآخر، مجلة الرستمية ، المجلد 2، العدد1، تاريخ النشر 01-06-2021.

46 -مصطفى بوجملين : ثنائية "السارد/المسرود له" في كتاب نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض, مجلة المخبر ابحات في اللغة والادب الجزائري ,عدد2014،10م.

**6- المواقع و المجالات الالكترونية:**

47 - هبة حيدر ، موسوعة عالم المعرفة الإلكترونية ، ماهي أنواع الثقافة ، تاريخ النشر 4 أفريل 2021.

48- محمد رياض وتار: شخصية المتقف في الرواية العربية السورية(دراسة)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999.

49- مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ط1، 2007.

50- زهير سوكاح ، مفهوم الذاكرة الجمعية عند موريس هالبواكس ، مجلة المتمدن الالكترونية -العدد: 1755 - 12 / 2006 / 5.

51- مقال ذاكرة المكان: الدائرة التأويلية بين التصوّرات الزمانيّة والظواهر المكانيّة المجلة الالكترونيةASPJ.

52- رنا خالد، تقارير و تحقيقات، الموقع الالكتروني:

[www.radionawa.com/wtar-detail.aspx](http://www.radionawa.com/wtar-detail.aspx).

عبد الحميد مغيث:

كاتب و صحفي جزائري ولد سنة 1961م بولاية المسيلة بالجمهورية الجزائرية.

حائز على بكالوريا الآداب عام 1981م و الليسانس في العلاقات الدولية من جامعة الجزائر عام 1985م.

عمل بالصحافة لكنه اهتم كذلك بالأدب. نشرت له قصص و روايات منها:

"وادي الذهب" سنة 2003م، و مجموعة قصصية بعنوان "كاتب غير عمومي" سنة 2007م، و رواية "طيور الكوش" سنة 2007م كذلك، الى جانب مخطوطات عديدة أخرى، وراية " الشجرة المباركة" سنة

2018

فهرس المحتويات

\* مقدمة: ..... أ- ج

**الفصل التمهيدي: مفاهيم نقدية (المكان - الثقافة - الذاكرة - الذات).....5**

أولا : مفهوم المكان.....5

1- المكان.....5

1-1 المكان

فلسفيا.....5

1-2 المكان أدبيا.....6

2- أنواع المكان.....8

3- أهمية المكان : .....10

ثانيا: مفهوم الثقافة.....10

1- الثقافة:.....10

1-1 الثقافة أدبيا.....11

2-1 الثقافة فلسفيا ونقديا.....11

2- أنواع و أشكال الثقافة:.....11

1-2 الثقافة المادية.....12

2-2 الثقافة غير المادية.....12

ثالثا: مفهوم الذاكرة.....12

1- الذاكرة.....Error! Bookmark not defined.

1-1 الذاكرة فلسفيا.....13

13.....	1-2 الذاكرة نقديا
14.....	2- الاشتغال الفني للذاكرة:
14.....	1-2 الذاكرة أداة تخيل للمرجع
14.....	2-2 الذاكرة والتوالد الحكائي
14.....	3-2 الذاكرة ورحلة البحث عن الذات
15.....	4-2 الذاكرة وخطاب الكنتية
15.....	5-2 الذات والذاكرة المكانية
15.....	3 - أماكن الذاكرة:
15.....	1-3 البعد الرمزي للمكان:
15.....	2-3 الإنتاج الرسمي لرمزية المكان:
15.....	3-3 أماكن الذاكرة و رهانات المجتمع المدني:
16.....	<b>رابعاً: مفهوم الذات</b>
16.....	1- الذات كمصطلح:
16.....	1-1 تعريف الذات فلسفياً.
17.....	2-1 تعريف الذات نقدياً.
17.....	2- خصائص مفهوم الذات
18.....	3- نظريات مفهوم الذات
19.....	4- الذات وظلالها في الشخصيات
21.....	<b>الفصل الأول: الذاكرة هوية للمكان في رواية الشجرة المباركة</b>
21.....	<b>أولاً : تماهي الذاكرة في المكان.</b>
21.....	1- الذاكرة العرضية.

22	2 - الذاكرة الدلالية.
22	3 - الذاكرة المكانية.
29	<b>ثانيا: الذاكرة تشويشا للزمن ( إعادة ترتيب للأفعال الروائية)</b>
30	1- مفهوم الزمن الروائي :
31	2- طبيعة الزمن الروائي.
31	1-2 الزمن الداخلي (النفسي):
32	2-2 الزمن الخارجي ( الطبيعي):
32	3- بناء الزمن الروائي.
32	4- نظام الزمن
32	1-4 الاسترجاع.
35	2-4 الاستباق.
38	<b>ثالثا: تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية</b>
38	1- ماهية الذاكرة الجمعية:
39	2- الذاكرة الفردية:
41	3- علاقة الذاكرة الفردية بالذاكرة الجمعية:
42	4- تلاشي الذاكرة الجمعية في الذاكرة الفردية تطبيقات على النص
49	<b>الفصل الثاني: النسق الثقافي للمكان في رواية الشجرة المباركة</b>
49	تمهيد:
49	1- النسق ذو الطابع التعددي:
50	1-2 النسق الاجتماعي
50	1-3 النسق الفلسفي
51	1-4 النسق الإيديولوجي

51	1-5 نسق السلطة.....
52	2- مرجعيات الأنساق : .....
54	1-1-2 ثقافة الذات بعث أم هدم للمكان؟ .....
54	1-1-2 الذات ذات ثقافة رسمية: .....
57	2-1-2 الذات ذات ثقافة شعبية: .....
60	2-2 تلاشي الذات المثقفة : .....
61	1-2-2 التلاشي في الأحياء. ....
62	2-2-2 التلاشي في الأموات. ....
63	3-3-2 التلاشي في الأشياء. ....
64	3- ذاكرة المكان رصيد للذات المثقفة: .....
66	1-3 الأماكن المغلقة. ....
68	2-3 الأماكن المفتوحة. ....
71	* الخاتمة. ....
72	قائمة المصادر و المراجع: .....
77	الملحق: .....
78	فهرس المحتويات .....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ملخص الدراسة:

كان التعامل مع المكان في رواية " الشجرة المباركة " لعبد الحميد مغيش تعاملًا عميقًا، لا بوصفه مكانًا جامدًا، بل لكونه مكانًا ثقافيًا يمارس سلطات نسقية تكشف علاقة الإنسان بالمكان، وهي علاقة تنطوي على جوانب عديدة وعميقة في الآن ذاته، وتجعل تعاملنا مع هذا الفضاء عملية تتجاوز قدرات الإنسان الواعية لتتوغل في لا شعوره باعتبار المكان إحدى العلامات المميزة لحضوره الكامل. وقد وظف جمالياته في جسد نصوصه وتمفصلات سروده بدءًا من عتبة العنوان، مرورًا بالشخصيات والأحداث والتوظيف المشهدي، وصولًا إلى لغة المكان وذاكرته، متحدثة عن هوية منسية أو مغيبة في أرياف وبلديات المسيلة، فجعل لغتها بسيطة بساطة المكان الجغرافي، ولكنها عميقة في دلالتها عمق المكان المسيلي، مرورًا بتراث زاخر من التاريخ والعادات والقيم الإنسانية، مختزنة هذه الجزئيات التي تعبر عن علاقات بين الذات المسيلية والمكان.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة - المكان - الذات - الثقافة - النسق.

## Abstract:

The treatment of the place in the novel "The Blessed Tree" by " Abd al-Hamid Mughhaish" was profound, not as a static place, but rather because it is a cultural place that exercises systemic powers that reveal the relationship of man to the place, a relationship that includes many aspects and deep at the same time, and makes our dealings with this space practical. It goes beyond the conscious capabilities of man to penetrate into his subconscious, considering the place as one of the hallmarks of his complete presence.

He employed his aesthetics in the body of his texts and the details of his narrations, starting from the threshold of the title, passing through characters, events, and scenic employment, down to the language and memory of the place, speaking of the identity forgotten or absent in the countryside and municipalities of Al-M'sila, so he made its language as simple as the geographical location, but deep in its meaning, the depth of the Al-M'sila place, passing through a rich heritage of history, customs and human values, storing these particles that express the relationships between the Messiah self and the place.

**Keywords: memory, place, self, culture, theme.**